ثبات حروف الوحي ودعوات التغيير
دراسة نقدية

د. أحمد علي نعمة
الجامعة العراقية/كلية الآداب

ملخص البحث

تعرَّض البحثُ لبيان أحد أهمِّ الجوانب التي تتَّسم بها حروف الوحي التي دُوِّن بها تراث اللغة ووحي السماء قرآناً وسنَّة، وتعرَّض لما لثبات تلك الحروف رسماً ونطقاً من أثر عظيم على التراث الذي تحمله، وعرَّج على تداعيات الأصوات المنبعثة من هنا وهناك والداعية إلأى تغيير تلك الحروف والتلاعب بها، وعلى بعض الإفرازات غير المقصودة التي خطت خطوات نحو ذلك التغيير المحظور؛ فجاء على ثلاثة مباحث، درستُ في الأول منها أهمَّ التحديات الدَّاهمة لحُرُوف الوحي الحكيم وسُبُل مواجهتها، في حين يعرض المبحث الثاني لأهمِّ الأقوال والمزاعم التي تبنَّاها دُعاة التغيير، وجاء المبحث الثالث لعرض بعض الأخطاء الفردية والمجتمعية السَّائدة لطائفة من أحرف الوحي على مُستوى الأداء والنطق، أو على مُستوى الرَّسم والكتابة، وٱستعراض أهمِّ أبعادها الدلالية، وسيقت الخاتمة بعد ذلك لتقييد أهم النتائج التي توصل إليها البحثُ، متلوَّة بسردٍ مُسلسل للمصادر والمراجع التي أفاد منها.

Abstract

In the name of Allah, Most gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, the Lord of the worlds, blessing be upon our Prophet Mohammed, his family, relatives and companion.

The research aims to explicits an important side which sustains in extending the significances of the Holy Qurans language and exceeding it over its mere verbal and structural forms.

The research consists of three topics:

The first speaks about the horizon of extension in our glorious Arabic Language and its greatest.

The second examplifying some analytic examples for the pheneweron of significance-extensity in the Holy Quran.

The third showes a chosen groups of affecting Pheneweuons on significance-extensity extending the sewantic horizons and fumally the couclusion which contains the main results I have reached with an index of sources and referuces of the research.

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا مُحمَّد الخاتم الأمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين، وبعدُ..

فلولا أنْ شرَّف الله ﷻ تلك اللغة؛ فأنزل بها كتابه الكريم، وقيَّض له من خلقه من يتلوه صباح مساء، ووعد بحفظه على تعاقب الأزمان، لولا ذلك كله؛ لأمست العربية – لغة الوحي – لغة أثرية دارسة، حالُها في ذلك المصير المأساوي حال لغات العالم الأخرى التي لم تتسنَّ لها، ولم تتهيأ عواملُ الحفظ والمنعة، ولسادت الفروع واللهجات العربية المُختلفة، وٱزدادتْ – على مرِّ الزمان – نأياً وبُعداً عن أُسِّها المتين وأصلها الرَّصين؛ ذلك أنها كغيرها من سائر لغات البشر خاضعة للتغيُّر والتبدُّل، وللزوال والفناء.

ومن بين تلك الشِّعاب ٱنبثقت العربية حاملةً بين أكنافها حروف الوحي الحكيم، وشقَّتْ طريقها وسط الموانع والسُّدود؛ حتى وصلتْ إلينا سالمة، ثابتة، شامخة، أبية.. قد ٱستمرَّتْ حيَّة أربعة عشر قرناً، وستستمر في حياتها وعطائها وٱزدهارها إلى ما شاء الله ربُّ العالمين، غير آبهةٍ بما أصاب – وما سيُصيب في قابل الأيام – لداتها من اللغات الإنسانية الأخرى قاطبة؛ ما دامتْ هي وحدها التي تمُتُّ إلى كتابه العربي المبين بأواصر القربى ووشائج الرحم، تستمدُّ من ٱرتباطها به عنصر الحياة؛ ما دام ذلك الارتباطُ مستمراً، والصلة وثيقة، والاعتصام بحبله المتين شديداً لا ينفكُّ، وما دام كلُّ واحدٍ منهما يُكمِّل الآخر ويكتمل به.

فلولا القرآنُ المُبين، والدِّينُ المتين، والأدبُ اللفظيُّ الرَّصين؛ لتضافرتْ أسبابٌ عديدة وتداعتْ وتكالبتْ من كلِّ حَدَبٍ وصَوْب على تهافت اللغة العربية وضياعها على مرِّ الأيام والأعوام والسنين.. ولولا القرآنُ العظيم حاضرٌ وسط تلك الأزمات، وعقب تلك النوائب والمُلمَّات الغلاظ الشداد؛ لاجتاحتها الجوائح، وطوَّحت بها الطوائح، وصاحتْ عليها

النوائح، وصارت كاللغات التاريخية لا تدرس إلَّا عند الضرورة، ولا تظهر إلَّا في مواضع خاصَّة، ولا ينطق بها إلَّا بعد مرانةٍ وتكلُّفٍ ومُعاناة.

فالله ﷻ هو الذي حفظ هذه اللغة، وحماها من الضياع واللَّاثبات حين تكفل بحفظ القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ].. وهكذا كان للقرآن الكريم الفضلُ الأكبر في حفظ اللغة العربية وجَعْلها تستعصي على الذوبان والانقراض والتلاشي.

لقد كان لكتاب الله ﷻ أبلغُ الأثر في أن ٱستعصت العربية على كافة حملات الغزو الفكريِّ واللغوي، وتجاوزتْ شتى الانكسارات، وبقيت ما بقي كتابُ الله يُتلى في الغدوِّ والآصال، وعادتْ من جديد تتنفس الصُّعَداء بعمق، وتستعيد رواءها ورونقها.. وبذا ٱستمرَّتْ تلك اللغة الخالدة تنافح وتناضل وتقاوم طوال تلك القرون، وستظلُّ كذلك إلى ما شاء الله ربُّ العالمين مُحتفظة بكلماتها، وقواعدها، وملامحها، وخطوطها العامَّة من غير أن يمسَّها أحدٌ بأذىً أو مكروه ، ومن دُون أن يُصيبها تغيُّرٌ أو تبديل.

إنَّ تلك اللغة التي نتحدث بها اليوم ونتحاور فيما بيننا لو قدِّر لإنسانٍ عربيٍّ مات من خمسة عشر قرناً، ثمَّ قيِّض له أن يُبعث إلى مسرح الحياة من جديد؛ لوجدها كما هي بتفاصيلها كافة، لم يُؤثِّر فيها تطاولُ تلك القرون، وتعاقبُ الآماد، وتصاقبُ الأجيال.. وتلك سمة بارزة من أهمِّ سمات تلك اللغة التي أكرمها الله ﷻ، لا نجدها في اللغات الأخرى التي أصابها التحريفُ، وطالها التبديلُ، وتطرَّق إليها الشكُّ، وٱمتدَّت إليها أيدي العبث والتغيير؛ حتى غدا الآتون بعد قرون قليلة معدودة لا يكادون يفقهون لها قولاً، ولم يعودوا – كما كانوا بالأمس القريب – يمُتُّون إليها بوطيد الرَّوابط، ووثيق الصِّلات.

تلك هي مزية العربية عن غيرها من اللغات الأخرى، لم تتقلَّب، ولم تتبدَّل، ولم تتغيَّر.. وكان الفضلُ في ذلك راجعاً للقرآن الكريم، ذلك الكتاب الوحيد الذي ظلَّ محتفظاً بلغته، وسيظلُّ كذلك محتفظاً بها،

ويحفظها من عاديات الزمن؛ فلا يُصيبها الفناءُ كما أصاب اللغات من قبلها.. وإذا كانت اللغات الحية في عالم اليوم كثيرة؛ فإنَّ الاضمحلال والتلاشي والموت والفناء سيلحقها ويُصيبها حتماً كما أصاب لغاتٍ أخرى في سالف العهود نشأتْ وترعرعتْ وشبَّتْ وٱزدهرتْ، ثمَّ كبرتْ وٱضمحلَّتْ وماتتْ.. وليس كذلك العربية؛ فإنها ستظلُّ باقية ما بقي الليلُ والنهار؛ لأنها لغة القرآن، وقد كُتبتْ بأحرف الوحي الثابتة المُحكمة.

إنَّ ٱرتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم جعلها محفوظة بحفظه، باقية ببقائه.. وسبحان الله القائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ].. فمن أهم مظاهر تأثُّر العربية بالقرآن الكريم وٱرتباطها الوثيق به: ذلك التحوُّل من التغيُّر إلى الثبات؛ إذ كانت اللغة العربية قبل الإسلام طليقةً من كلِّ قيدٍ، تستجيب لكلِّ مُؤثِّر، فلم تُدوَّنْ، ولم يجتمعْ الناطقون بها على مثالٍ يحتذونه؛ وهذا من صفة اللغات غير المُدوَّنة، وٱنتقلت بعد الإسلام إلى مرحلةٍ جديدة من الثبات والاستقرار، تتناسب ودورها الحضاري الجديد الذي منحها إيَّاه الدِّينُ الإسلاميّ.

ولكنَّ هذا وذاك كلَّه لم يقفْ حائلاً دون إطلاق بعض الأصوات وتبنِّي بعض الدعوات الرامية إلى النيل من أصالة تلك اللغة وإصابتها بمقتل؛ عبر ٱتخاذ بعض التدبيرات والوسائل، وسلوك بعض السُّبُل الملتوية، كان من أخطرها الدعوة الصريحة تارة والمبطنة أخرى إلى تغيير بعض حروف الوحي والتلاعب بها؛ بحجَّة تيسيرها، وأنَّ الدين الإسلاميَّ دينُ يُسْرٍ؛ فلا يشقُّ على غير العربيِّ بتعلُّم العربية، زاعمين أن هذا أسرعُ في ٱنتشار الإسلام بين العجم، وأكثرُ تحبيباً وتزيينا للدين الإسلاميِّ في نفوسهم، أو أن يدَّعي بعضهم أن اللغة إنما حُفظتْ لا بسبب ٱرتباطها بالقرآن؛ ولكن بسبب ٱنكفائها على نفسها وٱنغلاق أهلها عليها، كما هو الحال في اللغة الصينية.. ومن هنا ٱنطلقت الدَّعوات وتعالت الأصوات ساعية إلى توحيد هذه اللغة مع سائر اللغات الإنسانية الأخرى

في القواعد العامَّة، أو الرَّسم، أو النطق والأداء، أو ما إلى ذلك، والقضاء على كلِّ ميزة ووأد كلِّ خصِّيصة حبا الله تعالى بها هذه اللغة الكريمة.

كما لم يقف ٱرتباطُ تلك اللغة الكريمة بالقرآن المجيد حائلاً دون أن يستبدل قومٌ حباهم ربهم وٱجتباهم برسالاته وبكلامه تلك اللغة برُقاعاتٍ من هنا وهناك من اللهجات المحلية التي أثَّرتْ فيها عواملُ كثيرة داخلية وخارجية؛ فطُبِّقتْ جملةُ هجائن متباينة وأخلاطٍ غير متجانسة من اللهجات على آي الذكر الحكيم وتلاوته وترتيله؛ فنجم عن ذلك جملة محاذير لا تخفى على اللبيب الفطن، وأخطاء أدَّت إلى قلب الأحكام وتغيير المعاني المعجمية واللغوية والشرعية؛ بلْ تعدَّاه أحياناً إلى معانٍ ومدلولات كفرية – والعياذ بالله – إذا ما كان التالي للآيات فقيهاً بما يتلوه، قاصداً لمعناه، كما سنتعرف على ذلك في أثناء البحث بإذن الله تعالى.

ومن هنا؛ فقد تطلبت منهجية البحث أن يقوم على ثلاثة مباحث، يستعرض الأول منها أهمَّ التحديات الدَّاهمة لحُرُوف الوحي الحكيم وسُبُل مواجهتها.. في حين يعرض المبحث الثاني لأهمِّ الأقوال والمزاعم التي تبنَّاها دُعاة التغيير.. وجاء المبحث الثالث ليعرض بعض الأخطاء الفردية والمجتمعية السَّائدة لطائفة من أحرف الوحي على مُستوى الأداء والنطق، أو على مُستوى الرَّسم والكتابة، وٱستعراض أهمِّ أبعادها الدلالية، وتقسيمها بشكلٍ عامٍّ إلى أخطاء نحوية، وصرفية، وحُكمية، ولهجية، وأخطاء في التلاوة.. تتلو ذلك خاتمة تتضمَّن أهمَّ النتائج التي توصَّلتُ إليها، وثبتٌ بأهمَّ المصادر والمراجع التي أفدتُ منها في إثراء المادَّة العلمية للبحث.. فأقولُ وبالله التوفيق:

المبحث الأول

حروف الوحي - التحديات والمواجهة

إنَّ نواميس الحياة وقوانينها التي يخضع لها الأحياء – جميعُ الأحياء – من النموِّ، أو التجدُّد، أو الاحتضار والاندثار تخضع لها اللغة الإنسانية كذلك؛ بِعَدِّها واحداً من تلك الأحياء التي تدبُّ على سطح تلك البسيطة؛ فهي خاضعة إلى سنة التطوُّر العامّ، تتغيَّر، وتنمو مع نموِّ الفكر وتقدُّم الزمن، وتتكاثر مثلَ أيِّ كائن حيّ؛ وذلك بما يُستحدث فيها من أساليب جديدة في التعبير، وكلمات أو ألفاظ جديدة تدخل في الاستعمال بطريقةٍ أو بأُخرى؛ فتغنى وتتطوَّر.. وفي أثناء ذلك تغيِّر كثيراً من بضاعتها؛ فتتخفَّف ممَّا لم تعُدِ الحاجة تدعو إليه، وتضيف ما غدا ضرورياً، وتحوِّر من بعض الألفاظ في النطق، أو الإملاء، أو المعنى، أو الاستعمال(١).

وتعدُّ لغتنا العربية من أكثر لغات الأرض – إن لم تكن أكثرها – تطوُّراً في تقاليب مفرداتها، ودلالات ألفاظها.. ومن هنا؛ كان للكلمة، والجملة، والتركيب، والسِّياقات العامَّة في العربية قلبٌ نابض، وحياة متطورة، متجدِّدة، وهي أبداً في حركة دائبة في أداء رسالتها، وتغيُّر دائم في دلالاتها، وتجدُّد مستمرٍّ في طرائق اُستعمالها.. ومع كلِّ تلك التقلُّبات والتبدُّلات؛ فقد حُفَّتْ تلك اللغة الخالدة من بين سائر لغات الأرض بعنايةٍ إلهية حملتْها بأجنحتها الهفهافة الرِّقاق إلى حيث نجوةٍ ودار أمنٍ من المطبَّات الخطيرة، والأطوار المتذبذبة، والمخاضات العسيرة التي طالتْ أخدانها من اللغات الأخرى؛ فخرجتْ مُعافاة قد حافظتْ على قالبها الأول

(١) ينظر: فقه اللغة، للمبارك/ ص٩٩، واللغة كائن حي/ ص١٠، و١٣، و٢٣، وكلام العرب – من قضايا العربية/ ص١٤٤، والمدخل إلى علم اللغة/ ص١٢١، وفي فقه اللغة وقضايا العربية/ ص١٦٣.

الذي صُبَّتْ فيه منذ البداية، واحتفظتْ بملامحها الرئيسة، وسلمتْ لها سماتها الأساسية التي ارتسمتْ بها وعُرفت[1].

إنَّ ثبات أصوات لغتنا العربية عبر تاريخها الطويل يُمثِّل ظاهرة تثير الإعجاب والدَّهشة والإكبار إذا ما قورن بما يحدث لأصوات اللغات العالمية الأخرى.. فمن السمات الأساسية التي اتسمت بها اللغة العربية لغة الوحي الحكيم: ((احتفاظها بأنسابها اللغوية؛ فلم يعتورْها من التغيير في النطق بحروفها ما اعتور سائرَ اللغات... والسببُ في ذلك: سعة مَدْرَجها الصَّوتيِّ... حتى لو أنَّ عربياً جاهلياً بُعث الآن، وسمِعَنا ننطق بلفظٍ فصيح؛ لفهمه؛ لأنَّ أصوات لغتنا الفصحى لم يطرأْ عليها تغييرٌ... ونحن حريصون على تقييد لغتنا في هذه المواطن بالفصحى؛ لئلَّا يُعترض علينا ببعض التبدُّلات الصَّوتية في اللهجات العربية المتباينة قديماً وحديثاً، وهذه التبدُّلات شديدة مستهجنة في لهجاتنا الحديثة خاصَّة[2]!!))[3].

لقد صارت اللغة العربية الفصحى – وهي لغة مُوحَّدة – بفضل القرآن الكريم مفتاحاً إلى الماضي العربيِّ بكلِّ جوانبه المشرقة؛ ذلك أنَّ ثبات هذه اللغة لا توازيه أية لغة أُخرى.. ففي هذا اليوم يمكن لأيِّ عربيٍّ في المرحلة المتوسطة من تعليمه، وبقدرٍ ضئيل من الجهد أن يعبُر إلى

---

(١) ينظر: من أسرار اللغة/ ص١٤٤، ودلالة الألفاظ العربية وتطورها/ ص١٤، والتطور اللغوي التاريخي/ ص٤٠– ٤١، والترادف في اللغة/ ص١٩.

(٢) **اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث:** هي مجموعة من الصِّفات اللغوية المنتمية إلى بيئة خاصة، أو هي قيود صوتية تلحظ عند أداء الألفاظ في بيئة معينة، ويشترك في هذه الصِّفات جميع أفراد البيئة.. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمُّ عدَّة لهجات لكلٍّ منها خصائصُها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية العاملة على تيسير اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض [ينظر: الراموز على الصحاح/ ص١٣].

(٣) دراسات في فقه اللغة، للصالح/ ص٢٨٥– ٢٨٦.

التاريخ العربي الكامل للألف وأربعمائة عامٍ ونيف الماضية من تاريخه العربي.. هلْ يستطيع الإنجليزيُّ، أو الفرنسيُّ، أو الإسبانيُّ عملَ ذلك؟!! أم هلْ يستطيع التركيُّ، أو الفارسيُّ، أو الهنديُّ أن يقرأ تاريخ أسلافه أو تراث أمته كما كُتب لعهد ما قبل ألف عامٍ مثلاً؟!! وحتى خمسمائة عام؟!! تتشوَّف الأمم وتتمنى – حتى تنقطع بها الأمانيُّ – أن يكون أبناؤها قادرين على دراسة تراثها، ولهذه المدَّة الزمنية، أو أقل منها بكثير[1]!!

ولكنَّ هذا الثبات العريق لأصوات تلك اللغة الخالدة لم يستطع أن يقف حائلاً دون حدوث بعض التبدُّلات الصَّوتية الضمنية الطارئة والحاصلة هنا وهناك في نطق بعض الحروف، والتي منها حرف الضاد – رمز لغتنا العربية وشعارها – لدى بعض اللهجات المعاصرة؛ إذ ٱستحال نطق هذا الحرف المُفخَّم دالاً حديثة، أو ظاءً؛ كما في نطق عامة أبناء المجتمع العراقيِّ اليوم.. وعلى أساس تلك التبدُّلات الصَّوتية وُجدت الثغرة التي تعالتْ منها أصوات بعض الباحثين الدَّاعية إلى حذف هذا الحرف من رسمنا الكتابيِّ العربي، أو تغييره، أو دمجه بغيره؛ لأنه – بحسب رأيهم – ليس حرفاً مُختصَّاً بالعرب وحدهم، وهم يرون أنه لغزٌ مُحيِّر؛ لأنه حرفٌ مُعقَّد، بعيد عن الأصوات الطبيعية، أو أنه صوتٌ مجهول، ملتبسٌ بغيره؛ لذا غدا – في نظرهم – شبحاً لحرفٍ مفقود بات يُؤرِّقهم، من الأفضل طرحُه وإلغاؤه والتخلُّص منه[2]!!

وهنا لا محيص لنا أمام تلك التحدِّيات الداهمة من معرفة أنَّ التطوُّر الصَّوتيَّ في اللغات الإنسانية أمرٌ طبيعيٌّ لا يدعو إلى كلِّ هذا الحدِّ من

---

(١) ينظر: أزمة التعبير بين العامية والفصحى/ ص٥٧، واللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم)، ومجلَّة الضَّاد (العدد الرابع)، ص٤٥.

(٢) ينظر: العربية أهي لغة الضاد أم لغة الظاء؟!! ولغة الضاد أو كلام العرب، وما رأي المجامع والمختصين في مزج الضاد بالظاء؟!! نقلاً عن: مجلَّة الضَّاد (العدد الرابع)، ص١٣– ١٤.

القلق وقضٌّ المضاجع؛ ذلك أنَّ التطوُّر اللغوي في هذا الجانب – أعني جانب الصَّوت – يعدُّ ((أسرع وأكثر تنوعاً من تطوُّرها في جوانب الصيغ، والنحو، والمفردات، والأساليب.. والسَّببُ هو أنَّ الجانب المنطوق في اللغة يُمارَس بحرية أكثر من الجانب المكتوب، فضلاً عن أنَّ اللغة تصادف في تركيباتها وتجمُّعاتها الصَّوتية ظروفاً سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب؛ ولهذا ينفصل الصَّوت عن صورته، ويتطوَّر دُونها))[1].

فضلاً عن كون الأصوات المتقاربة المخارج، أو المتَّحدة المخرج تتناوب فيما بينها وتتعاور؛ فنجد بعض الأصوات الساكنة في العربية تتناسخ في بعض اللهجات العاميَّة، وينوب بعضها محلَّ بعض؛ فنجد حرف السِّين قد تحوَّل إلى صاد في بعض المواطن.. فمثلاً في كلمة «**ساخن**» تحوَّل السِّين في عاميَّتنا إلى صاد؛ فقالوا: «**صاخن**».. بلْ ربما نجده قد تحوَّل في الفصيحة – كذلك – إلى الصَّاد؛ نحو: «**صبخة**» من «**سبخة**».. وتحوَّل السِّين في بعض لهجاتنا العاميَّة إلى شين؛ فينطقون «**سجر**»: «**شجر**»؛ بمعنى: أحمى؛ فيقولون: «**شجرت المرأة التنُّور**».. وتحوَّل الضاد إلى ظاء في لهجتنا العراقية في سائر الكلمات المشتملة على الحرف الأول!!

فتحوُّلُ الأصوات وتناوبها وتطوُّرها أمرٌ حادث في أغلب اللغات العالمية، والعربية ليستْ بدعاً منها إذا ما قلنا بأنها تتميَّز بخاصِّيَّة المُحافظة على أصواتها بفضل وُجُود القرآن الكريم يتلى في كلِّ الأرجاء وشتى الأوقات.. ولئن أُبدلتْ بعضُ الأصوات بأصواتٍ قريبة منها؛ فذلك ناموسٌ طبيعيٌّ في لغات العالم.. أما في العربية؛ فيحدث ذلك بتأثير الصَّوت في مُجاورة شدَّة ورخاوة ٱستعلاءً وٱستثقالاً.. فاختلاف نطق حرف من حروف اللغة العربية بين أبنائه لظروف عدَّة تحكَّمت بهذا

(١) دراسة الصَّوت اللغوي/ ص٢١٧.

الخروج عن النطق الموروث؛ منها: البيئة الاجتماعية، وغيرها.. لا يدعونا إلى القول بحذف هذا الحرف أو إبدال ذاك الحرف؛ لأنَّ هذا الأمر حاصلٌ في اللغات الإنسانية، هذا من جانب.. والجانب الأهمُّ والأخطر هو تلك الميزة التي ٱختصَّتْ بها العربية؛ وهي أنها لغة ٱرتبطتْ بالسماء بفضل تمثيلها للقرآن الكريم، فأيُّ تغييرٍ أو تبديل في حروفها يُؤدِّي إلى تقطيع تلك الرابطة المقدَّسة وتفكيك الصلة بها[1]!!

ذلك أنَّ التغيير أو التلاعب بأيِّ حرفٍ من حروف اللغة سيُؤدِّي حتماً إلى تغيير رسمه ولو بالتدريج، ولا يخفى ما في ثبات الرَّسم على حالته الأولى – أو ما يقرب منها – من فوائد جمَّة؛ فهو يُوحِّد شكل الكتابة في مُختلف العصور، ويُسهِّل تناقل اللغة، ويُمكِّن الناس في كلِّ عصر من الانتفاع بمُؤلَّفات أسلافهم وآثارهم.. فلو كان الرَّسم عُرضة للتغيير تبعاً لتغيُّر أصوات الكلمات؛ لغدتْ كتابة كلِّ جيلٍ غريبة، مُنبتَّة عن الأجيال اللَّاحقة له، ولاحتاج الناس في كلِّ عصرٍ إلى تعلُّم طرائق النطق، والإلمام بحالة اللغة في العصور السَّابقة لهم؛ كيما يتمكَّنوا من الانتفاع بما خلَّفه أسلافهم لهم!! زيادة على ما يُسديه ثباتُ الرَّسم على حالته الأولى القديمة للباحث والمُنقِّب في علم اللغات وتاريخها من خدمةٍ جليلة عبر ما يعرضه له من الصُّور الصَّحيحة والأمينة لأصول الكلمات، وما يوقفه على ما كانت عليه أصواتها في أقدم عصور اللغة.. فالرَّسم للألفاظ أشبه شيء من هذه الناحية بالمتحف للآثار[2].

من أجل ذلك؛ لم يعُدْ – ولن يعود – من الضروريِّ بحالٍ أن يرافق تطوُّر بعض الأصوات اللغوية أو تغيُّرها تطوُّرٌ في رسمها الكتابي؛ لأنَّ

---

(١) ينظر: علم اللغة، لوافي/ ص٣٠٨– ٣١٠، وستبقى العربية لغة الضاد، مجلَّة الضَّاد (العدد الرابع)، ص١٥– ١٦.

(٢) ينظر: علم اللغة، لوافي/ ص٢٨٧، وستبقى العربية لغة الضاد، مجلَّة الضَّاد (العدد الرابع)، ص١٦.

نطق الأصوات اللغوية خاضعٌ للتطوُّر من جيلٍ إلى جيل.. فجيلُنا الحاضر يختلف – نوعاً ما – عن الأجيال السابقة في نطق بعض الحروف العربية.. وهكذا تبقى المسألة نسبية ومرنة إلى حدٍّ ما في كلِّ الأجيال.

وإذا ما حاولْنا تقريبَ الرَّسم الكتابيِّ العربي أو مطابقته مع نطقنا للحروف العربية في كلِّ جيلٍ يخرج عن نطق أسلافه أو يُخالفه – كما يفعل أصحاب اللغات الأخرى – ؛ لضلَّ الحرف العربيُّ وضاع وسط تلك المتاهات، ولاندرستْ معالمُه، وأصبحت الكتابة مثل أثواب النساء: مُتغيِّرة بحسب [الموضة] مع كلِّ جيل[1]!!

وهذا هو السَّببُ الرئيس الكامن – بحسب ما أرى – وراء مسألة كون الرَّسم القرآنيِّ الشريف توقيفياً؛ إذ لم يُمنحْ أحدٌ الحقَّ في إجراء أيِّ تعديلٍ أو تغيير عليه؛ تلافياً للاختلافات وتعدُّد الآراء، وتباين وُجهات النظر التي لا حدَّ لحدِّها، ولا قِبَلَ لردِّها، وترفُّعاً عن جملة الأسباب التي ذكرتُها آنفاً، وحفاظاً – بالنتيجة – على النصِّ الكريم ولُغته المقدَّسة في آنٍ واحد من الفوارق والطوارق.

إنَّ الأصوات اللغوية لا تجمُدُ على حالٍ واحدة مُعيَّنة عبر الأجيال في بعض مواطنها؛ إذ قد يُصيبها التغيُّر متأثرة بعوامل كثيرة؛ كالطبيعية، والاجتماعية، واللغوية.. فبفعل هذه العوامل يسقط من اللغة بعضُ أصواتها القديمة، أو يُضاف إليها أصواتٌ جديدة، وأحياناً تستبدل اللغة ببعض أصواتها أصواتاً أخرى، أو قد تنحرف بعضُ الأصوات عن مخارجها القديمة، وقد تمرُّ الأصوات اللغوية بأكثر من هذا.. في حين يبقى الرَّسمُ الكتابيُّ في ذلك كلِّه – وغيره – ثابتاً، مستقراً، لا يُساير النطق في تطوُّره، يبقى ثابتاً على صورته التي كانتْ عليها أصواتها،

(١) ينظر: الأبجدية العربية متكاملة وصالحة، مجلَّة المجمع العلمي العراقي (المجلد ٣١– ج٣)، ص٤٤٤، ومجلَّة الضَّاد (العدد الرابع)، ص١٦– ١٧.

وليس على الصورة التي آلتْ إليها تلك الأصوات المتقلِّبة التي لا تعرف ثباتاً ولا قراراً بحالٍ من أحوالها على مرِّ العصور والأجيال(١).

إذن؛ فالقول بدمج حرفي الضاد والظاء برسمٍ كتابيٍّ واحد قولٌ لا يخلو من المخاطر التي تهدِّد رسمنا الكتابيَّ؛ لأنه يفتح البابَ على مصراعيه – بلْ يكسره كسراً – ليأذن للأدعياء من دُعاة التغيير في كلِّ عصرٍ أو مصرٍ أو زمان – الذين طالما حشروا أنوفهم وخراطيمهم فيما يعنيهم، وما لا يعنيهم – بالدُّخول من غير ٱستئذان، والمطالبة بحذف هذا الحرف، ودمج ذاك، وتغيير هذه الصيغة، ورفع تلك؛ بدعوى المطابقة بين رسم الحرف ونطقه!!

وإذا نحن أنعمنا النظر في واقع نطق حروفنا في وقتنا الحاضر وما هي عليه من العامِّيَّة والتهاون في أداء الصفات والمخارج، ونزلنا – تبعاً لذلك – على رأي أولئك الناعقين؛ لاحتجْنا إلى حذف العديد من تلك الحروف أو دمجها وتقليصها؛ وذلك لاختلاف النطق بها باختلاف اللهجات العربية وتعدُّدها.. وهذا شططٌ جدُّ خطير على اللغة ورسمها، قد يُؤدِّي في نهاية المطاف – فيما لو أصخنا إلى من يرطنون حولنا من أرباب تلك الدَّعوات المُغرِضة الهدَّامة – إلى تغيير ملامحها، وبالتالي مسخها!!

فمن المُتعارف عليه ((في كثيرٍ من اللغات من مخالفة النطق الكتابة؛ ممَّا يعني – في بعض أمثلته – تطوُّر النطق وبقاء الهجاء القديم... وقد يحدث تطوُّرٌ صوتيٌّ في اللغة في حقبة معينة، أو في إقليم معين بسببٍ خارج عن اللغة؛ عن طريق تأثر أصوات لغةٍ بأصوات لغةٍ

(١) ينظر: علم اللغة، لوافي/ ص٢٧٥، وستبقى العربية لغة الضاد، مجلَّة الضَّاد (العدد الرابع)، ص١٧.

أخرى ٱنتقل إليها المجتمع أو ٱحتكَّ بها))[1]، ولم يسمحْ ذلك التأثر قطُّ بتأثر الرَّسم، أو خضوع الكتابة للتغيير كما تأثر وخضع الصَّوت؛ فلا بدَّ من الفصل بين ظرفيهما وحاليهما، وتحميل كلٍّ منهما ما يحتمل، لا ما لا طاقة له به.

لقد تنبَّه العربُ منذ القدم إلى ٱختلافهم في النطق بحرف الضاد وهم أهلُه؛ لصعوبة مخرجه، ومع ذلك؛ لم نسمعْ أو نقرأْ لأحدٍ منهم دعوة إلى حذف هذا الحرف من رسمهم الكتابي، وأهلُ مكة أدرى بشعابها، وربُّ الدار أدرى بما في الدار؛ ذلك أنَّ التاريخ اللغوي لمعظم اللغات الإنسانية يثبت حقيقة لغوية لا تقبل الشكَّ أو التأويل؛ مفادُها: أنَّ الحدث اللغويَّ المنطوق يختلف نوعاً ما عن رمزه المكتوب.. والعربية لم تكنْ بِدْعاً من اللغات؛ وإن ٱمتلكت واقعاً تاريخياً جعلها تنماز عن اللغات العالمية، ((جعلها كشجرة عظيمة تضرب بجذورها في أعماق الأرض، وتنمو أغصانها وتمتدُّ في كلِّ ٱتجاه، وهي ثابتة في موضعها لا تبرحه))[2].

وبهذه الحقيقة اللغوية التاريخية التي ٱنماز بها العربُ عن سائر أهل لغات الأرض – بتميُّزهم بنطق هذا الحرف في مرحلةٍ من مراحلهم التاريخية – تبقى العربية لغة الضاد، فضلاً عن كونها لغة الظاء، والعين، والحاء... وعلينا أن نسقط من حساباتنا تهويلَ المُهوِّلين باختلاف نطق الحروف؛ فإنَّ الملايين من أبناء العربية يكتبون الجيم – مثلاً – بشكلها الأبجدي المعروف، وينطقها كلٌّ منهم على حسب منطقه الذي نشأ عليه

(١) دراسة الصَّوت اللغوي/ ص٣٢٣– ٣٢٤، وستبقى العربية لغة الضاد، مجلَّة الضَّاد (العدد الرابع)، ص١٧.

(٢) أصوات العربية بين التحوُّل والثبات/ ص٢٦٨، وينظر: طرق تنمية الألفاظ في اللغة «معنى القول المأثور – لغة الضاد»، ص١١٦ وما بعدها، وستبقى العربية لغة الضاد، مجلَّة الضَّاد (العدد الرابع)، ص١٧– ١٨.

وٱعتاده[١]، وليس في شيءٍ من ذلك ما يدعو إلى تغيير شكل الحرف، ولا إلى تغيير قواعد الكتابة؛ وإنما هي عاداتٌ تعرف ويُحسبُ حسابُها من غير مشقة، ولا كُلفة، ولا تكلُّف، ولا تحميلٍ للأمر فوق طاقته، كما نرى ونسمع كلَّ يومٍ منذ قرون وأجيال، وكما هو معهودٌ ومتواتر في كلِّ لغة من لغات الحضارة بين المكتوب والملفوظ.. ومن راقب ذلك في ٱختلاف النطق الأمريكيِّ، والنطق الانجليزيِّ، والنطق الفارسيِّ، والنطق الهنديِّ... لم يكترثْ لذلك التهويل الذي لجَّ فيه الشاكُّون والمُشكِّكون من المُعرِضين والمُغرِضين[٢]!!

وفي هذا السِّياق يقول أُستاذنا الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي رحمه الله: ((إننا لنعجب أشدَّ العجب حين نرى مُشكلاتٍ عويصة تكتنف لغاتِ العالم جميعَها؛ كتعدُّد أشكال حروفها، أو كثرة عدد حروفها، أو صعوبة ضبط إملائها، أو نطق أصواتها، أو كثرة تغيُّر الصَّوت الواحد في مواضع مُختلفة من المفردات.. إلى غير ذلك ممَّا يقع مثلُه في لغات العالم.. فالحرف (C) مثلاً قد يكون (k) في موضع، وقد يكون بصوت الـ(S) بموضع آخر، وقد يكون مع الـ(h) بصوت الشين العربية، أو بصوت الجيم الآرية، وقد يكون الـ(h) مع الـ(t) بصوت الذال (the)، أو يكون بصوت الثاء (third).. وما يمكن أن يقال هنا في هذه الأصوات يقع في أصواتٍ أخرى في الإنجليزية والألمانية والفرنسية.. وكلُّ ذلك لا يعدُّه أبناء تلك اللغات مُشكلةً؛ بلْ يعدُّونه قواعد لغتهم، ويُلزمونه أبناءهم ليتعلَّموه ويُمارسوا نطقه وكتابته!!

---

(١) فمثلاً ينطقها عربيُّ العراق: (ج)، وينطقها عربيُّ الخليج: (ي)، وينطقها عربيُّ مصر: (گ)... وهكذا، كما سنتبيَّن ذلك في الصَّفحات اللَّاحقة.

(٢) ينظر: أشتات مُجتمعات في اللغة والأدب/ ص٤١- ٤٢، وستبقى العربية لغة الضاد، مجلَّة الضَّاد (العدد الرابع)، ص١٩.

أما نحن؛ فقد وجدْنا في خطِّنا، وكتابتنا، وأحرفنا، وتراكيب لغتنا، وأصواتها.. ما لم يجدْهُ أعداءُ اللغة من الأوربيين أنفسهم، فلماذا هذه المواقف؟!! وهل الإخلاصُ حقاً هو الذي يفرض علينا أن نصطنع المشكلات، ونخلق العراقيل في سبيل لغةٍ عاشت آلاف السنين منذ عهودٍ غابرة في التاريخ في موطنها الأصليِّ – جزيرة العرب – ثمَّ خرجتْ مع القرآن العظيم تجوب الأرض، وتنقل إلى البشرية مبادئ الحق والعدل.. حتى يومنا هذا؟!! فلم تهشَّ، ولم تضعف، وواكبت التطورات، والثقافات، والحضارات، وعبَّرتْ عنها، ونقلتْ مضامينها من أجيالٍ إلى أجيال، وما تزال تقدِّم العون، وتسعف المحتاج إلى ما يُوفي حاجته من مفردات الحضارة المعاصرة وتقنياتها المتنوِّعة.

إنَّ ما يختلقه بعضُ المشبوهين في السنوات الأخيرة من مشكلاتٍ حول العربية إنما هو ٱستجابة واضحة لطموحات المُغرضين... إنَّ مثل هؤلاء مدفوعون بدوافع مُختلفة، تهدف جميعاً إلى طعن لغة القرآن التي تمثِّل ركيزة وحدوية تجمع العرب الناطقين بها تحت لوائها وفي ظلِّ سيادتها؛ بلْ إنها أداة جَعْل العرب المُوحَّدين على صلةٍ دائمة بشعوب الأرض التي تنطق بها، وتحترم كيانهم ووحدتهم))[1].

فهلْ للباحث المدقِّق، والدارس المحقِّق الحقِّ أن يمرَّ بتلك الحقائق الحقيقة بالوقوف والتدبُّر، والأحكام الصريحة الثابتة مُرُور الكرام، ثمَّة يقول لا تعنيني؟!! وهلْ يجدُرُ به أن يتغافل عنها، أو يتناساها، أو يتنكَّر

(١) لماذا يدعون إلى تغيير الحرف العربي؟!! مجلَّة الضَّاد (العدد الثالث)، ص٧٨، وينظر: ص٧٥– ٨٤، وللمزيد حول هذا الموضوع الخطير تنظر المصادر الآتية: الحيوان (٢/ ١٥٨)، ودراسات في حضارة الإسلام/ ص٤، والعراق في مواجهة التحديات (٢/ ٢٢٣– ٢٢٥، و٢٣٢، و٣٧٦)، والحفاظ على سلامة اللغة العربية (مجلَّة الضَّاد/ العدد الثالث)، (ص٩– ١١)، والإسلام والكتابة العربية (مجلَّة الضَّاد/ العدد الثالث)، ص٢٣.

لمضامينها، أو يزهد فيها، أو يغضَّ الطرف عنها، ويضرب الذكر صفحاً؟!! وهلْ له – إذا ما رام سلوك سبيل الأمانة العلمية، والسلامة اللغوية، وإبراء الذمة الإنسانية – أن يتماشى مع أشتات آراء لا يُقرُّ بها عقل رجلٍ رشيد، ولا يُؤيِّدها منهج علمٍ سديد؛ بلْ لا تعدو كونها قائمة – في أحسن أحوالها – على شفا جُرُفٍ هارٍ على وشك أن ينهار بها وبأصحابها في مهاوي الرَّدى؛ فتراهم يتلفَّتون يمنة ويسرة تلفُّت اللِّصِّ الآبق من قبضة الجزاء والعدالة، ويرجون التشبُّث بغلالاتٍ رقيقة من جُملة أخلاطٍ غير متجانسة من المُقدِّمات والنظريات والافتراضات والتخمينات والتشكيكات الجدلية بعدما أُلبستْ – قسراً – لُبُوس البحث العلمي الحرِّ؛ فخرج ثوباً مُتقلِّصاً يقصُرُ عن غايته، أو هيكلاً من العظم لا يكسوه لحم ولا عصب!!

وتلك الآراء المُوجَّهة صوب لغتنا المنيعة – في حقيقة أمرها وواقع حالها – لا تثمر إيمان الإذعان، ولا خشية الدَّيَّان، ولا حُبَّ القرآن بقدر ما تثير في النفوس رواكد الشبهات، وتزرع بذور الفرقة والشتات، وتؤجج أوار الفتنة بعدما دُفنتْ معها أسبابُها ونتائجُها، وطُويتْ في رُمُوسها مُقدِّماتها وعواقبها.. وهي – باختصار – عابثة فيما لا يعنيها – من قريب أو بعيد – أمرُه، عبث النزق الذي جنَّ عن فكره الحدُّ بين الجدِّ واللعب[1]!!

لقد طوَّعت لبعض من وسموا أنفسهم بـ«**الدارسين والباحثين في اللغات الإنسانية**» من المُعرِضين والمُغرِضين أنفسُهُم، وٱمتدَّ الحنقُ

---

(١) **الرمس بوزن الفلس:** ما تحمله الريح فترمس به الآثار؛ أي: تعفيها وتدرسها، **والرمس أيضاً:** تراب القبر وما حثي عليه [ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٣٩٢)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٨٤)، والصِّحاح (١/ ٢٦٩)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٤٩٥)، ولسان العرب (٦/ ١٠١)، وتاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٣٩٦٥)].

وتطاول الغرورُ بهم – ولا سيَّما المستشرقون وأذنابُهم – إلى الدَّعوة جهاراً نهاراً بمآربهم، وعرض «**خدماتهم البحثية!!**» المُجتثة من الأرض ما لها من قرار، ٱمتداداً يُعرف أوَّلُه، ويُجهل منتهاه، وٱنتفختْ أوداجُهم زهواً وٱختيالاً، وصعَّروا خدودهم عُجْباً وكبراً، وأيقنوا – وإنْ كان يقينهم ظناً وخيالاً – أنَّ الرأي ما ذهبوا إليه من منكر القول وزوره، وٱهتدوا – وليتهم لم يهتدوا – إلى تبنِّي تلك المواقف التي بان لنا رينُها، وطفا إلى السطح زبدها، وٱستبان – من خلال ما حوته من المتردِّيات والنطائح وما أكلت السِّباعُ وهوامُّ الفكر – مقصدها، وألقتْ قلوبُهم مكنوناتها من خبث طواياهم، وسوء نواياهم!! وحالُهم في ذلك كحال من قيل بحقِّه:

إذا ما أتيتَ الأمرَ من غير بابه؛ ضللتَ، وإن تقصد إلى الباب؛ تهتد[1]

إنَّ مواقف كهذه لا تنهض أدلَّة على ما ذهب إليه سادتها وكبراؤها، وكيف ينهض المولود ميتاً بالولادة؟!! ولا تصلح أقيسة لمقياس جليٍّ قائم بذاته؛ من جرَّاء ما تضمَّنته تلك المواقف من السفسطة والهرف والسَّماجة والهوان؛ لأنها قيستْ على حسب الظاهر والمظاهر من دُون تثبُّت في مواطئ الأقدام، ومن دون تبصُّر في عواقب الإقدام، ومن دون أن يُؤيِّد ما ذهب إليه أربابُها وشطَّ فيه كُتَّابُها أيُّ دليل عقليٍّ متين، أو أن يُسعفه أيُّ نصٍّ نقليٍّ أمين، أو أن يجاريه أيُّ منطق لُغويٍّ سليم.. ناهيك عن مُخالفته لصُراح الحقِّ المبين، وثوابت العلم الرَّصين.. فلا ٱكتراث بما يقولون، ولا ٱبتئاس بما يصنعون، ولا وَجَلَ ممَّا يكيدون، ولا يُؤبه لأقوالهم الرَّخيصة تلك إنْ لم يرعووا عنها، ولا ٱلتفاتَ إلى الفلتات المُناقضة لحقائق لغتنا المجيدة، ومبادئها الدامغة، ومُقرَّراتها القارَّة الثابتة، وأحكامها المُسفرة.

---

(١) ينظر: المُستطرف في كلِّ فنٍّ مُستظرف (١/ ٧١).

وليس يصحُّ في الأذهان شيءٌ إذا ٱحتاج النهارُ إلى دليل[1]

إنَّ مفاهيم الناس للأشياء ليستْ هي التي تصنع الحقائق؛ بلْ تقتصر وظيفتها في العمل على إدراكها فحسبُ؛ حتى تكون صورة تلك الحقائق فيها مطابقة تماماً لما هي عليه في الواقع، مطابقة التصديق والمؤازرة، لا مخالفة التعليق والمنافرة.. إنَّ فساد مفاهيم الناس حول حقيقةٍ ما من حقائق المعرفة لا يُغيِّر من واقع حال تلك الحقيقة شيئاً، وما أكثر حقائق المعرفة التي تتعرَّض لمشاكل فساد مفاهيم الناس عنها، وفساد تصوُّر الناس لها عن سوء نية وقصد، أو من غير قصد، دونما أن تتأثر بذلك أو أن تميد مع رياحها!! إنَّ قصور النظر الكليل إلى الواقع لا يُغيِّر من كمال الواقع شيئاً!!

ويوجد سببٌ آخر للخطأ الذي يقع فيه كثيرٌ من الباحثين في هذا العلم أو ذاك؛ إلَّا وهو ٱعتمادُهم على أفكارهم وضمائرهم فقط، وجَعْلُها المقياسَ الوحيد الذي تقاس به مبادئُ العلوم، ونسبوا إلى هذا المقياس العصمة عن الخطأ؛ مع أنه مقياسٌ غيرُ كافٍ وحده؛ فقد يُخطئ، وقد يُصابُ عند بعض الناس بعلَّة من العلل المرضية؛ فيعشى أو يعمى، أو تختلَّ عنده الرؤية؛ فيُصدِرَ أحكاماً فاسدة[2]!!

ولولا أنَّ الإسلام حقٌّ بذاته، مُؤيَّدٌ بتأييد الله ﷻ، محفوظٌ بحفظه؛ لم تبق منه بقية تصارع قوى الشرِّ في الأرض التي ما تركتْ سبيلاً لكيده والمكر به إلَّا سلكتْه، ولا سبباً لإخماد جذوته وإطفاء نوره ودَرْس معالم لغته إلَّا تبنَّته وأخذتْ به، ويمكرون ويمكر الله، والله خيرُ الماكرين.

لقد جاءنا المُشكِّكون من خصوم العربية الفصحى بحُججٍ واهية يلوكونها، وأقوال مُهلهلة يُلقونها، وحزمة مُخلخلةٍ من السفسطات

---

(١) ينظر: جواهر الأدب (١/ ١٨١)، ودواوين الشعر العربي على مر العصور (٤٧/ ٣٣٢)، والسحر الحلال في الحكم والأمثال/ ص٨٩.

(٢) ينظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة/ ص٢٠٨- ٢٠٩.

والمغالطات والتمويهات والتهويمات والنظريات الجوفاء التي لا سند لها من الحقِّ، والتي لم تشهد البراهينُ العلمية والأبحاثُ الموضوعية بصحَّتها.. وهم يلجأون إلى قبول ذلك الغثاء اضطراراً كلَّما دمغتهم البراهين، وأعوزتهم الحجج، وألزمتهم الأدلة العلمية به، ولم يجدوا عنها محيصاً!!

إنَّ قصة ضرورة تيسير حروف العربية لا تعدو – في أحسن أحوالها، وأحنى وصفٍ نقديٍّ لها – كونها أسطورة خرافية لا وجود لها إلَّا في الأذهان.. وقد أحسن تشييعَها كُبراءُ الغزو الفكريِّ، وأحسن تطبيق بنود خطَّتها – نظرياً فقط – أُجَرَاؤه من أبناء هذه الأمة المُغرَّر بهم.. وقد كان شعارُ البحث العلميِّ ووسائل المعرفة بغلةً ذلولاً أوصلتْ أعداءَ العربية وحُسَّادها والمُتربِّصين بها الدوائر إلى عَرَبة ثيران العامِّيَّة واللانظام!! فهلْ يقبلُ إنسانٌ يملك الحدَّ الأدنى من التفكير المنطقيِّ السليم هذا النوعَ من المنطق والاستدلال الذي ليس له أسرٌ يشدُّه، ولا لحمٌ يملؤه، ولا إهابٌ يزينه، أو تجري فيه دماءُ حياةٍ أو حياء؟!!

إنَّ أقلَّ مُتأمِّلٍ في هذا الكلام وأشباهه؛ يتبيَّن له أنه إرهاصٌ واضحٌ بمرحلةٍ جديدة من مراحل الحرب المُعلنة التي أطلق شرارتها أعداءُ العربية والعُرُوبة والإسلام؛ ولكنهم كلَّما أوقدوا ناراً للحرب؛ أطفأها الله، وحمى دينه ولُغة هذا الدين؛ لتبقى حُرَّةً أبية، وتتحطم على أسوارها العصية كلُّ فُلُول الأعداء الحاقدين من الرابضين على تخومها أو المُتزيِّين بزيِّها كيداً وزوراً وبهتاناً.

وهذه الآراءُ النقدية لا تعدو – في أحسن أحوالها، وأحنى وصفٍ نقديٍّ لها – كونها مُفترياتٍ وأباطيل، وخداعاً وتضليلاً!!

خلاصة القول أنَّ هذه الشبهات والتشكيكات والجدليات المُهرِّجة حول رصانة لُغتنا العربية وصلاحيتها للاضطلاع برسالتها السامية؛ إنما تساق وتلقي شباكها وشراكها وحبائلها ليَعْلَق بها من يَعْلَق من المُنبتِّين عن

لغتهم وأُمَّتهم دينياً ووطنياً، ولتصيُّد الأغرار منهم علمياً ومنهجياً، ولتضليل المراهقين فكرياً ونفسياً.

فيا هؤلاء المُسدين خدماتهم – زوراً وكيداً وحيلة – للغةٍ هيأ الله ﷻ أسبابَ خدمتها، وأتاح وسائلَ حفظها، وأرسى دعائم سُمُوقها من فوق سمواته العُلى، أقولُها لكم على لسان كلِّ منافحٍ عن العربية: إنْ كان لديكم فضلُ ظهر؛ فعودوا به على أشتات لغاتكم عديمة الظهر، وخيطوا رُقاعاتها المُتهرِّئة والمتلونة كلَّ يومٍ بألوانٍ شاحبة مزرية، وأسعفوا قواعدها المرتبكة التي لا تعرف هوادة ولا قراراً، ولا تكونوا كمن يُحاولُ إكساءَ الناس؛ وإسته عارية.. ولكنَّ العدوَّ – أمثالكم، وإنْ أبدى مُسالمةً – إذا رأى مِنَّا يوماً غِرَّة؛ وثبا!!

((فالضاد من مزايا لغة العرب؛ لأنها حرفٌ لا ينطقه إلَّا العرب الصُّرَحَاء؛ لذا سُمِّيت العربية: «**لغة الضاد**» بإطلاق الجزء وهو الحرف على الكلِّ وهي اللغة على سبيل المجاز المُرسل))[1]؛ ومن هنا جاء ((تمييزُ هذه اللغة بهذا الحرف باعتبارها مُتفرِّدة به دون نظيرٍ له في اللغات العالمية؛ بلْ في اللغات السامية القريبة الأُصُر باللغة العربية؛ حتى عاد معياراً لتمييز العربيِّ عن سواه لدى نطقه بهذا الحرف.. وغيرُ العربيِّ لا يستطيع أداءه وإخراجَ صوته كما هي الحال عند العربيِّ المَحْض))[2].

(١) مجلَّة الضَّاد (العدد الرابع)، الافتتاحية/ ص٩.

(٢) منهج البحث الصَّوتيِّ عند العرب/ مجلَّة الضَّاد (العدد الثالث)، ص٨٧.

المبحث الثاني

طائفة من الأقوال والمزاعم التي تبنَّاها دُعاة التغيير.. ونقدها

يقول الحاكم الفرنسيُّ إبَّان ٱحتلال حملته للجزائر: ((إننا لنْ ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرأون القرآن ويتكلَّمون العربية؛ لذا يجب أن نزيل القرآن العربيَّ من وجودهم، ونقتلع اللِّسان العربيَّ من ألسنتهم!!))[(١)]، وقال آخر[(٢)]: ((متى توارى القرآنُ ومدينة مكَّة عن بلاد العرب؛ يمكننا أن نرى العربيَّ يتدرَّج في سبيل الحضارة – يعني الحضارة المسيحية – التي لم يُبعدْه عنها إلَّا محمدٌ وكتابُه!!))[(٣)]؛ فكان بيِّناً أنه لا يمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لُغته!!

وزاد ثالثٌ[(٤)] الأمرَ صراحة وجلاءً ببيانه أنَّ اللغة العربية هي الرِّباط المُحكم الوثيق الجامع لملايين المسلمين – على ٱختلاف أجناسهم ولغاتهم – في بوتقةٍ واحدة؛ إذ يقول: ((إنه لم يسبقْ وجودُ عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدِّين الإسلامي الذي ٱقتحم قارَّتيْ آسيا وإفريقية الواسعتين، وبثَّ في مِائتي مليون من البشر – وهذا تعدادٌ أقلُّ

---

(١) قادة الغرب يقولون/ ص٣١، وينظر: نقل معاني القرآن الكريم إلى لغة أخرى، ترجمة أم تفسير/ ص٥، وحصوننا مهدَّدة من داخلها/ ص١٩٩ وما بعدها.

(٢) ذلك هو القسُّ **(وليم جيفورد بلجراف)**: رحَّالة أوربي، إنجليزي النشأة، زار جزيرة العرب للمدَّة ما بين ١٨٦٢– ١٨٦٣م، وكان يجوب بلاد العرب في زيِّ طبيبٍ سوري مُسلم، وتسمَّى بـ**(سليم أبو محمود العيسى)**، [تنظر: الموسوعة المُيسَّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٧٧)].

(٣) أباطيل وأسمار/ ص١٢٩، و٢٠٢، والغارة على العالم الإسلامي/ ص٩٤، وقادة الغرب يقولون/ ص٦٣.

(٤) ذلك هو **القسُّ صموئيل زويمر** (S.M. Zweimer): مُستشرق، مُبشِّر، مُؤسِّس مجلَّة **(العالم الإسلامي)** الأمريكية [تنظر: الموسوعة المُيسَّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٩٠)].

من الحقيقة بكثير كما هو معلوم – عقائده وشرائعه وتقاليده، وأحكم عُروة ٱرتباطهم باللغة العربية!!))[1].

ومن هنا ٱندلعتْ شرارة معركةٍ تعدُّ من أعتى المعارك الدَّائرة على السَّاحة العربية والإسلامية وأكثرها ضراوة، وٱشتدَّ أُوارُها، وحمي وطيسها؛ لأنها تفضي في نهاية المطاف إلى بناءٍ أو هدم، حياةٍ أو موت، رِفْعة وحرية أو عُبُودية وٱستخذاء وتبعية، وحدة العرب والمسلمين تحت لواء عربيةٍ واحدة؛ هي الفصحى، أو تفرُّقهم وتشرذمهم إلى أشتات متناحرة متناكرة بلُغات متنابذة؛ هي العاميَّات!!

فلا عجب أن يبذل هؤلاء وأضرابُهم كلَّ ما في وُسعهم، وأن يسلكوا كلَّ سبيل ويبتغوا كلَّ وسيلة للفصل بين المسلمين والقرآن، وكانت بداية مكرهم فصْل المسلمين عن لغة القرآن؛ فسلكوا كلَّ سبيل إلى ذلك؛ فزرعوا لغاتهم، ومنعوا الأذان بالعربية في بعض البلدان، ومنعوا الكتابة بها، وٱستبدلوا بالأحرف العربية الأحرف اللَّاتينية!!

لكنَّ المسلمين لا يزالون مُرتبطين بعربيتهم في شتى الأصقاع، يربطهم بها القرآنُ الكريم؛ ما حدا بطائفةٍ من دُعاة الهدم إلى ترجمة القرآن الكريم بلغاتهم المحلية، ووُجُوب الصلاة بها، وهجر اللغة العربية والصلاة بها!! ولكي تلقى دعوتهم تلك القبول والرَّواج، ويُمكَّن لها بزعمهم؛ وضعوا لذلك تعليلاتٍ تخدع المنهزمين فكرياً وتزيد المؤمنين بها إيماناً وثباتاً؛ فزعموا أنَّ الصلاة بالترجمة تمدُّ المُصلِّي غيرَ العربيِّ بالخشوع في الصلاة؛ لأنه – والحالُ تلك – سيفقه المعاني التي يقرؤها في صلاته، وتكون مناجاته لربِّه أعمقَ وأصدقَ!!

وقالوا: إنَّ الدِّين الإسلاميَّ دينُ يُسرٍ؛ فلا يشقُّ على غير العربيِّ بتعلُّم العربية، وزعموا أنَّ هذا أسرعُ في ٱنتشار الإسلام بين العجم، وأكثر

(١) أباطيل وأسمار/ ص١٥٣، وينظر: ص١٨٩، و١٩٤.

تحبيباً وتزييناً للدِّين الإسلامي في نفوسهم!! وٱنخدعت طائفة من أبناء المسلمين بما ذهبوا إليه، وٱبتهجتْ نفوسُهم لهذا الكلام الذي يبدو في ظاهره الرَّحمة، وباطنُه من قِبَلِهِ الضلال الشديد؛ فنشأتْ حينها دعوةٌ قوية لهذا الأمر في بلاد المسلمين؛ وبخاصَّة في تركيا ومصر والشام(١).

وهذا أحدُ مفكِّري اليهود يصرخ من المرارة والحنق قائلاً: ((من حقِّ إسرائيل أنْ تحيي العِبْرية الميتة، ومن واجبنا أنْ نميت العربية الحية!!))، يقول الدكتور عمر فروخ في معرض تعليقه على ما سبق: ((أعجبُ من الذين يدرسون اللغات الميتة، ثمَّ يُريدون أن يُميتوا لغة حية كالعربية!!))(٢).

وختاماً، فكثيرةٌ هي المسارب الخفية التي يتسلَّل منها المتربِّصون لكيد هذه اللغة وكتابها الأكبر كثرة أعدائها.. فمن مظاهر فصل اللغة عن قرآنها: أنْ يدَّعيَ بعضُهم أنَّ اللغة إنما حُفظتْ لا بسبب ٱرتباطها بالقرآن، ولكن بسبب ٱنكفائها على نفسها وٱنغلاق أهلها عليها؛ كما هو الحال في اللغة الصينية، كما يقولون، وقد غاب عن هؤلاء ((أنَّ العربية بُنيت على أصلٍ سحريٍّ، يجعل شبابها خالداً عليها؛ فلا تهرم، ولا تموت؛ لأنها أُعِدَّتْ من الأزل فلكاً دائراً للنيرين الأرضيين العظيمين: كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ؛ ومن ثمَّ كانتْ فيها قوَّة عجيبة من الاستهواء كأنها أخذة السِّحر، لا يملك معها البليغُ أن يأخذ أو يدع!!))(٣).

ويزعم هؤلاء أنَّ البلاغة يمكن أن تكون بمعزل عن القرآن، وأنَّ الفصاحة يُمكنُ ٱكتسابُها من غير القرآن، وهذا ما لم يقلْ به أحدٌ من قبل، وليأْتنا هؤلاء بواحدٍ ٱستطاع – بمعزل عن القرآن، وما كان على نسقه

---

(١) ينظر: أباطيل وأسمار/ ص١٢٨، ونقل معاني القرآن الكريم إلى لغة أخرى، ترجمة أم تفسير/ ص٥– ٦.

(٢) اللغة العربية ومكانتها بين اللغات/ ص١٩.

(٣) تحت راية القرآن/ ص٢٦.

من الكلام جزالة وقوة، وحلاوة وطلاوة – أن يجعل من نفسه أديباً ذا بيانٍ ولسان، وتمكَّن من الغضِّ من قدر العربية، والنيل من مكانتها وأنها ضرورة لكلِّ علمٍ شرعيٍّ، وليستْ بدعاً عصرياً!!

وهناك فئة تحاول فصْلَ الأمة عن دينها بحيلة قطع الصِّلة الوثيقة الرابطة بين اللغة العربية والقرآن والحديث، وإبعاد علوم العربية عن الصبغة الدِّينية، ويتظاهرون مع ذلك بحُبِّ العربية، والحرص على تعليمها؛ لكن بشرط أن تفصل عن العلوم الشرعية، وأنْ لا يكون للدِّين وتعليماته هيمنةٌ عليها؛ فظهرتْ دعواتٌ إلى إقامة أقسامٍ للعربية مبنيةٍ على هذه الأُسُس، تربِّي أبناءها على غير لغة القرآن وإنْ كتبت بالحرف العربي، ويدرسون غير لغة القرآن؛ وإن سمَّوها علوماً عربية!!

إنَّ هنالك حرباً سافرة يُستهدف بها القرآنُ؛ لكنها لا تستطيع أن تخلع قناعها وتهجم على ما تريد مباشرة؛ لأنها سوف تردُّ وتصدُّ؛ فيصرفون حربهم إلى لغة القرآن؛ فيحاربون كلَّ لسان يُحاكي بيان القرآن في جزالته وفصاحته، ويستبدلون بذلك كلَّ أسلوبٍ فجٍّ، وتركيب مجٍّ ركيك، وهم في ذلك لا يحاربون نمطاً من أنماط التعبير، ولا يحاربون اللغة العربية نفسها، ولكنهم يُعلنون – في حقيقة الأمر – حرباً ضروساً على القرآن المجيد(١)!!

ولا نحتاج لمزيدٍ من الجهد في بيان مدى التلازم والتآخي بين علوم العربية وعلوم القرآن؛ حتى غدا كلُّ واحدٍ منها لا يتم إلَّا بالآخر، وهذه لُحمة أكَّدها تعويلُ كلٍّ منهما على الآخر؛ إذ لا يستطيع دارسُ علوم القرآن أن يُفيد منها كما ينبغي إلَّا بدراسة العربية وعلومها المُختلفة دراسة جادَّة، في حين لو تخلَّتْ علومُ العربية عن القرآن، أو نأتْ؛ لاستحالتْ جثة

(١) تنظر كلمة لشكيب أرسلان، ضمن كتاب «**تحت راية القرآن**»، ص٣٥.

هامدة لا حَرَاكَ بها، ولفارقتْ رُوحَها الفاعلة، وفقدتْ ما فيها من مُقوِّمات أُسلوبية، وبيانٍ ناصع!!

فلا بدَّ لنا – والحالُ تلك – من إدراك أنه لا يُمكنُ المسلمين أن يُقيموا دعائم دينهم، أو أن يفهموا قرآنهم من غير ٱستعانةٍ باللغة العربية، وإنه لولا القرآنُ؛ لما تقدَّمتْ علوم العربية، وتميَّزت عن غيرها من علوم اللغات الأخرى.

كما لا محيص لنا ولا مهرب من معرفة أنَّ القرآن الكريم هو السِّرُّ في بقاء العربية وخلودها، أدرك هذا أعداؤها، كما أدركه أهلُها، نجدُ تأكيد ذلك في دراساتٍ عربية، وأخرى غير عربية؛ بلْ إنَّ هذا هو الذي خلَّد العربية، ورفعها إلى أنْ تكون ممَّا يتسامى الناسُ في تحصيله؛ إذ صارت العربية فيما بعدُ لغة الدِّين، ولغة العلم، ولغة الحضارة، ولغة عِلْية القوم؛ فتسامى الناس في تعلُّمها، وتباروا في إتقانها لجُملة هذه الدَّوافع؛ حتى صار من غير أهلها من ٱمتاز على أهلها وتفوَّق!! وهذه الدوافع تعود كلُّها إلى القرآن المجيد؛ فالقرآن هو الدَّافع الحقيقيُّ الذي جعل من العربية مقصداً يتبارى الجميع في تحصيله وتحقيقه.

من أجْل ذلك كلِّه وغيره يجبُ الحذر أشدُّ الحذر من الدَّعوات الهدَّامة الرامية إلى فصل القرآن عن العربية؛ بلْ إلى فصل سلطة القرآن على العربية، وأنه يجب أن ندرس العربية – بحسب تلك الدَّعوات – بعَدِّها لغة لا ترتبط بالقرآن، مثلها في ذلك مثل أية لغة أخرى، وقد جرتْ هذه الفكرة وسرتْ إلى حدٍّ جعل أناساً يعملون على إيجاد أقسامٍ دراسية للعربية لا تهيمن عليها السُّلطة الدِّينية، ولا تهيمن عليها الاتجاهات القرآنية!!

يجب أن نكون في حذرٍ شديد وفي مأمنٍ ومنجىً من دعوات تجريد تعليم العربية عن الدوافع الدِّينية، وبخاصَّة في مجال تعليمها لغير أهلها؛ إذ من شأن هذا التجريد أو الفصل أن يرفع عنها هيبتها وقداستها التي

ٱكتسبتها من ٱرتباطها بالقرآن، ويجعلها كأية لغةٍ من سائر اللغات الإنسانية، ليس لها أيُّ ٱمتياز[١]!!

المبحث الثالث

بعض الأخطاء الفردية والمجتمعية السائدة لطائفة من أحرف الوحي وأبعادها الدلالية

يهتمُّ علمُ اللغة (Linguistics) بالتغيُّر اللغويِّ على المستوى الاجتماعيِّ، ويرجع التغيُّر اللغويُّ دائماً إلى تجديدٍ فرديٍّ يقبله المجتمع.. أما التجديد الذي يرفضه المجتمع؛ فيبقى خارج مجال علم اللغة؛ لأنه يبحث اللغة باعتبارها ظاهرة ٱجتماعية، وليس كلُّ تغيُّر لغويٍّ عند فرد ما أو مجموعة أفراد يُعدُّ مقبولاً ٱجتماعياً؛ فإلى جانب تغيُّرات بدأتْ على مستوى الفرد، ثمَّ أصبحتْ على مستوى البيئة اللغوية كلِّها؛ هناك تجديداتٌ فردية لقيتْ من التصدِّي والمعارضة الكثير؛ فظلَّتْ مرتبطة بمجموعة أفراد، ولم تلق أيَّ رواجٍ أو قبول ٱجتماعي[٢].

إنَّ التمييز بين اللغة والكلام ضروريٌّ في دراسة قضية التغيُّر اللغويِّ.. والتغيُّر اللغويُّ شبيهٌ بالتغيُّر في العادات والتقاليد والأزياء، ومعنى هذا أنَّ التغيُّر اللغويَّ يبدأ عند فردٍ ما؛ أي على مستوى الكلام، فإذا ما وجد هذا التجديدُ قبولاً من لدن المجتمع؛ فإنه سيلقى رواجاً، ويُصبح بمضي الوقت عُرفاً لغوياً سائداً.

وبناءً على ما تقدَّم؛ فإنَّ التغيُّرات اللغوية الفردية المقبولة لدى المجتمع ستلقى رواجاً نسبياً، وبالتدريج قد يُفضي بها الحالُ إلى أن تحلَّ محلَّ اللهجة الرَّسمية الصَّحيحة وتنسخ اللغة الفصحى، وتصبح بمُضيٍّ

(١) ينظر: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم/ ص٩٧- ١٠٣.

(٢) ينظر: علم اللغة العربية/ ص٢٧.

الوقت عُرفاً لغوياً سائداً، وفرعاً بديلاً عن أصله؛ فتجرُّ على المتكلِّمين بها أخطاءً وخيمة وأخطاراً جسيمة.

وإني ليحزنني ويؤلمني كثيراً أن يستبدل قومٌ حباهم ربُّهم واجتباهم برسالاته وبكلامه تلك اللغة برقاعاتٍ من هنا وهناك من اللهجات المحلية التي أثرت فيها عواملُ كثيرة داخلية وخارجية، من بين أهمِّها: الاستعمار الغربي الذي رزح تحت وطأته الثقيلة أبناءُ هذا المجتمع أو ذاك من الزمن عقوداً متطاولة مريرة[1]!! وهذا كلُّه في عموم اللغة العربية.. أما إذا طبِّقتْ تلك الهجائن المتباينة والأخلاط غير المتجانسة من اللهجات في حال التعامل مع آي الذكر الحكيم وتلاوته وترتيله؛ فإنَّ في ذلك محاذير لا تخفى على اللبيب الفطن، وأخطاء قد تؤدِّي إلى قلب الحُكم وتغيير المعنى اللغويِّ المُعجميِّ أو الشرعيِّ، وقد تتعدَّاه إلى معانٍ ومدلولاتٍ كُفرية – والعياذ بالله – إذا ما كان التالي للآيات فقيهاً بما يتلوه، قاصداً لمعناه.

لذا ينبغي الحذرُ أشدَّ الحذرِ وأبلغه من العمل – عن قصدٍ أو من غير قصدٍ – على تسريب تلك اللهجات، أو الإذن والسَّماح بتسرُّبها إلى لغة الكتاب الحكيم.. ومن الأحرى – بلْ من الواجب المتحتم على الصَّعيدين الشرعيِّ والقوميِّ – قطعُ الطريق من دابره، وسدُّ باب الذرائع بالتصدِّي لها وعدم السَّماح لها بالشيوع والانتشار حتى على المستوى المحليِّ والخطابات البينية لأبناء المجتمع الواحد؛ ليكون ذلك الإجراءُ سوراً منيعاً وخطوة احترازية مُشدَّدة تصُدُّ هجمات تلك اللهجات على لغة القرآن المعجزة، وتردُّ مُروِّجيها، وتقف بوجهها الوقوف اللَّائق والمرجوّ.

إذا ما عرفنا ذلك كلَّه؛ فيمكننا حينئذ تقسيمُ الأخطاء – المتمثِّلة بالتغيُّرات اللغوية الفردية المقبولة لدى المجتمع، أو المجتمعية السائدة على ألسنة الأفراد – إلى نحوية، وصرفية، وحُكْمية، ولهجية، وأخطاءٍ في

(١) ينظر: المرجع نفسه/ ص٢٩– ٣٠.

التلاوة.. وسأتطرق في هذا المبحث لأهمِّ تلك الأخطاء على مستوى الأداء والنطق أو على مستوى الرَّسم الكتابيِّ، وأقفُ على أهمِّ أبعادها الدلالية غير المقصودة ٱبتداءً حين النطق أو الكتابة:

❖ **(حضر وحظر): المحتضر**: ما يُحضر ويُشهد ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سُورَةُ القَمَرِ]؛ أي: يحضره أصحابُه[1].. **والحظر**: المنع والحَجْر، وهو خلاف الإباحة ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ].. **والمحتظِر**: صانعُ الحظيرة المتَّخذة من الخشب، أو القصب ونحوه؛ لتقي الإبل والدَّوابَّ الحرَّ والبرد والرِّيح[2]، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ [سُورَةُ القَمَرِ].

❖ **(الحضُّ والحظُّ): الحضُّ**: الحثُّ على الشيء[3]، ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ [سُورَةُ الفَجْرِ]، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [سُورَةُ المَاعُونِ]، **والحظُّ**: النصيب المُقدَّر ﴿فَنَسُوا۟

---

(١) ينظر: الصِّحاح (١/ ١٣٤)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ١٢٢)، وعُمدة الحُفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (١/ ٤٢٤- ٤٢٥).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٢/ ٨٤)، والصِّحاح (١/ ١٣٦)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ١٢٣)، ولسان العرب (٤/ ٢٠٢)، وعُمدة الحُفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (١/ ٤٢٨)، والظاءات القرآنية/ ص٤٤، ومختصر في الفرق بين الضاد والظاء/ ص٤٣، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص١٤١، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص١٠٠، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد/ ص٢٩، والتمهيد في علم التجويد/ ص٢٤٤، وما وقع في القرآن الكريم من الظاء «عن مجلَّة البحوث الإسلامية»، العدد (٢١)، ص٢٠٤، ومجلَّة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٥٢- ٣٥٣).

(٣) ينظر: المصدر نفسه (١/ ٤٢٤)، ولسان العرب (٧/ ١٣٦)، وعُمدة الحُفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (١/ ٤٢٦)، وتاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٤٦٠٠).

حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴿١٤﴾ [سُورَةُ المَائِدَة]، وخصَّه بعضُهم بأنه: النصيب الطيِّب المحبوب من الفضل والخير ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴿١١﴾ [سُورَةُ النِّسَاء].. **والحظُّ** أيضاً: البخت والجَدُّ والسعادة[1]، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [سُورَةُ فُصِّلَتْ].

❖ **(ضلَّ وظلَّ)**: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ [سُورَةُ الفَاتِحَة]، و﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ ﴿٢٧﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ]، و﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ [سُورَةُ الحِجْر].. فرقٌ كبير بين الفعلين ضلَّ وظلَّ – بالضاد والظاء – وما أكثر الباحثين والقرَّاء ممَّن يخلطون بينهما في الاستعمال!! فينطقون – وقد يرسمون – الضاد في ﴿ٱلْمَغْضُوبِ﴾، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ ظاء؛ فتستحيل معانيها إلى أُخرى غيرِ مُرادة منها ٱبتداء!! ومنهم من يقلب الآية؛ فيُبدل الظاء في مثل: ﴿ٱلظِّلِّ﴾، و﴿ظَلَّ﴾ ضاداً؛ كما في نحو قوله ﷻ: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾... إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ [سُورَةُ المُرْسَلَات]، و﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ [سُورَةُ الزُّخْرُف]، يقول ٱبن السَّيِّد البَطَلْيُوسي رحمه الله: ((ضلَّ – بالضاد – بمعنى: تحيَّر، ويكون

---

(١) ينظر: العين (٣/ ٢٢)، وتهذيب اللغة (١/ ٤٣٣)، ولسان العرب (٧/ ٤٤٠)، وتاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٥٠٥٢)، والظاءات القرآنية/ ص٢٩، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص١٤٠، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص٩٨، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد/ ص٣٢، والتمهيد في علم التجويد/ ص٢١١، ومجلَّة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٥٥-٣٥٦)، وما وقع في القرآن الكريم من الظاء «عن مجلَّة البحوث الإسلامية»، العدد (٢١)، ص٢٠٠.

بمعنى: أخطأ... والظِّلُّ – بالظاء – أصلُه: السَّتر، ومنه قيل: ظِلُّ الشمس، لما سترته الشخوصُ من مسقطها.. ومنه: ظلُّ الجنة، وظلُّ شجرها إنما هو سترها))[1].

وليت الأمرَ وقف عند هذا الحدِّ؛ إذ تعدَّاه إلى إبدال أحد الحرفين بالآخر بعشوائية تامَّة لا مسؤولة؛ حتى ألفيتُ بعضَ الباحثين المُتخصِّصين ممن أُصيب بخبط العشواء تلك؛ فلم يعُدْ يعي ما يقول أو يكتب؛ فوجدتُ في عددٍ من هوامش أحد **(البحوث العلمية والرسائل الجامعية!!)** العبارة التالية يُشيرُ فيها **(الباحث!!)** إلى اعتماده في بحثه على تفسير سيِّد قطب: «**في ضلال القرآن**»!! حاش القرآن ممَّا يهرف فيه فلانٌ بما لا يعرف من التِّيه والضَّلال!!

في حين وجدتُ آخر – وهو يُعدُّ رسالة علمية لينال بها درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها والقراءات القرآنية وفنونها – وجدته تائهاً في تخريج آية قرآنية بيده على الآلة الطابعة؛ فأملاها على الشكل التالي: **(من يظلل الله فلا هادي لـه)**!! كما ألفيته متخبِّطاً في تقسيمه الضمائر في العربية إلى **[ظمائر مضهرة!!]**، وأخرى **[مظمرة]**[2]!!

---

(١) مختصر في الفرق بين الضاد والظاء/ ص١٠، وينظر: الظاءات القرآنية/ ص٢٩، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص١٣٢– ١٣٤، و١٤٠، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد/ ص٣٢، والارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص١٢٨– ١٢٩، والتمهيد في علم التجويد/ ص٢١١، ومجلَّة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٤٨– ٣٤٩، و٣٥٧– ٣٥٨)، وما وقع في القرآن الكريم من الظاء «عن مجلَّة البحوث الإسلامية»، العدد (٢١)، ص٢٠٤.

(٢) أتحفظ عن ذكر اسمَي الباحثينِ وعنوان بحث كلٍّ منهما، وأسأل الله تعالى لنا ولهما الهداية والتوفيق والصلاح.

❖ **(الضِّنَّة والظِّنَّة):** ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سُورَةُ التَّكْوِيرِ]، **الضِّنَّة:** البُخل بالشيء النفيس(١)، وقرئ: ﴿بظنين﴾، **والظِّنَّة:** التُّهمة، **والظَّنين:** المتَّهم الذي تظنُّ به التُّهمة(٢).

❖ **(العِضَة والعِظَة):** ((**العِضَة:** القطعة من الشيء، تقول: عضيتُ الشيءَ؛ أي: وزعته... وليس دينُ الله ﷻ بالمُعضَّى؛ أي: بالمُفرَّق... ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ]؛ أي: عضة عضة؛ ففرَّقوه: آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه!!))(٣)، و﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [سُورَةُ هُودٍ]، ((**الوعظ:** التخويف، والعظة الاسمُ منه؛ ... وهو التذكير بالخير وما يرقُّ له قلبُه))(٤).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٥/ ٣٧)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ٣١٧)، ولسان العرب (١٣/ ٢٧٢)، وعُمدة الحُفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٣/ ١٤).

(٢) ينظر: الظاءات القرآنية/ ص٤٥، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص١٤٩، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص٩٧، والارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص١٢٩- ١٣٠، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد/ ص٤٩، والتمهيد في علم التجويد/ ص٢١٧، ومجلَّة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٦١- ٣٦٢)، وما وقع في القرآن الكريم من الظاء «عن مجلَّة البحوث الإسلامية»، العدد (٢١)، ص٢٠٧.

(٣) مقاييس اللغة (٤/ ٣٤٧)، وينظر: تهذيب اللغة (١/ ٣٢٨)، والصِّحاح (١/ ٤٧٨)، ولسان العرب (١٥/ ٦٨).

(٤) المصدر نفسه (٦/ ١٢٦)، وينظر: عُمدة الحُفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٤/ ٣٢٤)، وتاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٥٠٨٤- ٥٠٨٥)، ومختصر في الفرق بين الضاد والظاء/ ص٥٢، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص١٠٦، و١٦٢، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص١٠٠، ومجلَّة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٦٧، و٣٧٠).

❖ **(الغيض والغيظ):** يقال: **غاض الماءُ يغيض:** خلافُ فاض، وغيض؛ إذا نقصه غيرُه، وغاضت البحيرة؛ أي: غار ماؤها وذهب، **وغيض الماءُ:** غُيِّب في الأرض ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [سُورَةُ هُودٍ]، **وغاضت الأرحام:** نقصت[1]، ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ﴾ [سُورَةُ الرَّعۡدِ].. **والغيظ:** أشدُّ الغضب[2]، ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ]، ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ]، ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾ [سُورَةُ الأَحۡزَابِ].

❖ **(الفضُّ والفظُّ): الانفضاضُ:** التفرُّق والانصراف، **والفضُّ:** تفريقك حلقة من الناس بعد ٱجتماعهم، يقال: فضضتهم فانفضُّوا؛ أي: فرَّقتهم فتفرَّقوا، وكلُّ شيءٍ تفرَّق؛ فهو فضض[3]!! ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ]، ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ

---

(١) ينظر: المصدر السابق (٤/ ٤٠٥)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ٣٦٨)، وأساس البلاغة (١/ ٣٤١)، ولسان العرب (٧/ ٢٠١).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ٣٦٨- ٣٦٩)، وعُمدة الحُفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٣/ ١٨٩)، وتاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٥٠٦٦)، والظاءات القرآنية/ ص٢٨، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص١٦٢- ١٦٣، و١٧٠، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص٩٧، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد/ ص٤٨، والتمهيد في علم التجويد/ ص٢١٢، ومجلَّة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٧١- ٣٧٣)، وما وقع في القرآن الكريم من الظاء «عن مجلَّة البحوث الإسلامية»، العدد (٢١)، ص٢٠٦.

(٣) ينظر: العين (٢/ ١٧)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٤٠)، ولسان العرب (٧/ ٢٠٦- ٢١١).

عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴿٧﴾ [سُورَةُ المُنَافِقُونَ]، ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴿١١﴾ [سُورَةُ الجُمُعَةِ].. **والفظُّ:** الجافي، القاسي القلب، الغليظ الجانب، الخشن الكلام، سيِّئُ الخلق[1]!! ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴿١٥٩﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ].

❖ **(نضر ونظر):** في قوله ﷻ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ [سُورَةُ المُطَفِّفِينَ]، ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ [سُورَةُ الإِنسَٰنِ]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ [سُورَةُ القِيَامَةِ]، يقول ٱبن السَّيِّد البَطَلْيُوسي: ((نظر إليه بعينه ينظر – بالظاء – ونضر وجهُه ينضر – بالضاد – ؛ إذا حسن، ونضَّره الله: حسَّنه، ونضر الشجر؛ إذا تنعَّم وأورق))[2].. وقال الدكتور حاتم صالح الضامن رحمه الله: ((نضر – بالضاد – يقال: نضر وجهه؛ أي: حسن، ونظر – بالظاء – يقال: نظر بعينه إلى الشيء؛ إذا أراد أن يراه، ونظر بقلبه؛ إذا فكر وتدبَّر، ونظره

---

(١) ينظر: لسان العرب (٧/ ٤٥١)، وعُمدة الحُفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٣/ ٢٤١)، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص١٥٣، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص٩٨، والارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص١٤٩، ومجلَّة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٧٢)، وما وقع في القرآن الكريم من الظاء «عن مجلَّة البحوث الإسلامية»، العدد (٢١)، ص٢٠٥.

(٢) الفرق بين الحروف الخمسة/ ص١٢٥، وينظر: الظاءات القرآنية/ الصفحات: ٣٠، و٣٣، و٣٥، ومختصر في الفرق بين الضاد والظاء/ ص٥٤– ٥٦، والتمهيد في علم التجويد/ الصفحات: ٢١٣، و٢١٥، و٢١٧، وما وقع في القرآن الكريم من الظاء «عن مجلَّة البحوث الإسلامية»، العدد (٢١)، ص٢٠٢.

بمعنى ٱنتظره... ويقال: بفلانٍ نظرة؛ أي: سوء حالٍ، وبه نظرة من الجِنَّة))[1].

ومع ما رأيناه من الفروق الدَّلالية اللغوية البينة الكائنة بين الألفاظ التي يدخل في تركيبها حرفا الضَّاد والظاء؛ إلَّا إنَّ ذلك كلَّه لم يحُلْ دون إطلاق بعض الأصوات، وتبنِّي بعض المشاريع الداعية والرامية إلى دمج هذين الحرفين في حرفٍ واحد؛ لأسبابٍ عديدة واهية، ومآرب بعيدة ما أدراك ما هيه؟!!

إذا ما عرفنا ذلك كلَّه؛ فلا يليق أن يعزبَ عن بالنا أنَّ ((هناك نوعين من الأصوات: أصواتاً ضعيفة الانتقال؛ وهي السَّواكن، وأصواتاً قوية الانتقال؛ وهي الحركات))[2]، كما إنَّ ((اللَّحْن في القرآن لحنان: جليٌّ وخفيٌّ.. **فالجليُّ**: لحنُ الإعراب، **والخفيُّ**: ترك إعطاء الحروف حقها من تجويد لفظها، بلا زيادة فيها، ولا نقصان))[3]، فمثال اللَّحن الجليِّ: رفعُ المنصوب، أو نصبُ المرفوع، أو خفض المنصوب، أو المرفوع.. ويعرفه القرَّاء والنحويون وغيرُهم ممن بضاعته في علم اللغة رائجة[4]؛ لذا سُمِّيَ جلياً؛ أي: بيِّناً واضحاً، أما اللَّحن الخفيُّ؛ فـ((لا

(١) مجلَّة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٧٢- ٣٧٣)، وينظر: (٤/ ٣٦٤، و٣٧٧- ٣٧٨)، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص١٢٦، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص٩٧.

(٢) محاضرات في اللغة/ ص١٤١، وينظر: الدراسات اللغوية عند عبد الرحمن أيوب/ ص٧٠.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء/ ص٢٩٨، وينظر: التنبيه على اللَّحن الخفي/ ص٢٧، والجهود الصَّوتية للأندرابي/ ص٣٧.

(٤) ينظر: التنبيه على اللَّحن الخفي/ ص٢٨، والتمهيد في علم التجويد/ ص٧٧، وبُغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن/ ص٢١، والجهود الصَّوتية للأندرابي/ ص١٣٦.

يعرفه إلَّا النحارير الماهرون والحُذَّاق المُحقِّقون من العلماء بـالقرآن))[١]؛ لذا سُمِّيَ خفياً؛ لأنه يخفى على كثيرٍ من الناس!!

واللَّحن الجليُّ – هو لحن الإعراب – مُتقدِّم كثيراً على اللَّحن الخفيِّ؛ إذ عرفه العرب منذ القرن الأول للهجرة حين تفشَّى وٱنتشر عقب دخول غير العرب في الإسلام، وفساد الألسنة!! وكان ظهور هذا اللَّحن الباعثَ والسَّببَ المباشر في صنع قواعد النحو، إلى جانب سببٍ آخر؛ هو محاولة فهم القرآن العظيم[٢].. أما اللَّحن الخفيُّ؛ فقد ظهر في القرن الرابع للهجرة، ((وٱستعمل للدلالة على نوعٍ مُحدَّد من الأخطاء اللغوية؛ وهو المُتعلِّق بنطق الأصوات، والانحراف الدقيق عن توفيتها صفاتها الصَّوتية كاملة في عملية النطق))[٣].

فاللَّحن الخفيُّ يتعلَّق بنطق الأصوات، وكيفية التلفُّظ بها تلفُّظاً سليماً، وإخراج كلِّ حرفٍ من مخرجه الصحيح، مع إعطائه صفته التي يتميَّز بها، كلُّ ذلك من غير إفراطٍ ولا تفريط.. ولتعلُّق هذا النوع من اللَّحن بالنطق السليم؛ فقد أولاه علماءُ التجويد ٱهتمامهم أكثر من علماء العربية، ((وطبَّقوه في دراستهم للنطق العربي، وتلاوة القرآن الكريم خاصَّة))[٤].

فمن الأخطاء الفادحة المُعبِّرة بجلاءٍ عن تلك الظاهرة الخطيرة: التلاعُب بمقدار المُدُود والحركات؛ إذ ((تتَّخذ اللُّغاتُ عدَّة وسائل في تنويع صوائتها – حركاتها – ومن ذلك أن يكون هذا التنويعُ عن

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء/ ص٢٩٨، وينظر: التنبيه على اللَّحن الخفي/ ص٢٨، وجهد المقل/ ص١١٢، وبُغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن/ ص٢٣.

(٢) ينظر: دروس في المذاهب النحوية/ ص١٠– ١١، ومباحث في علم اللغة واللسانيات/ ص٣٥٢.

(٣) أبحاث في علم التجويد/ ص١٧٢.

(٤) أبحاث في علم التجويد/ ص١٧٢، وينظر: الجهود الصَّوتية للأندرابي/ ص١٣٦– ١٣٧.

طريق... مدِّ الصَّائت؛ أي إطالة زمن النطق به؛ وهو ما ٱعتمدته العربية في تنويع صوائتها، فمدُّ الصَّوت بالضَّمَّة ينتج عنه الضمة الطويلة (**الـــواو المدِّيَّة**)، ومدُّه بالكسرة ينتج عنه الكسرة الطويلة (**اليـــاء المدِّيَّـــة**)، أمـــا الفتحة؛ فمدُّ الصَّوت بها يؤدِّي إلى الفتحة الطويلة (**الألف المدِّيَّة**)))[١].

فالحركات إذاً عبارة عن أصواتٍ صائتة قصيرة، والفرقُ بينها وبين الصَّوامت الطويلة – الألف، والواو، والياء – كامنٌ في الكمية الصَّوتية لا في النوعية.. وبعبارةٍ أُخرى؛ فإنَّ الصَّوامت الطويلة – الألـــف، والـــواو، والياء – عبارة عن أصواتٍ صائتة مشبعة بمقدار حركتين في حال مـــدِّها الطبيعيِّ، والفرقُ بينها وبين الصَّوائت القصيرة كمِّيٌّ لا نوعيّ[٢].

وقد صرَّح العلماءُ بتلك العلاقة المتواشجة بين كلٍّ مـــن الحركـــات وما أطلقوا عليه حروف المدِّ.. قال أبو الفتح ٱبن جنِّي رحمه الله: ((ٱعلم أنَّ الحركات أبعاضُ حروف المدِّ واللِّين؛ وهي الألـــف واليـــاء والـــواو.. وكما أنَّ هذه الحروف ثلاثة؛ فكذلك الحركـــات ثـــلاث؛ وهـــي الفتحـــة، والكسرة، والضَّمَّة.. وقد كان مُتقدِّمو النحويين يُســـمُّون الفتحـــة: الألـــف الصَّغيرة، والكسرة: الياء الصَّغيرة، والضَّمَّة: الواو الصَّغيرة، وقد كـــانوا في ذلك على طريق مُستقيمة))[٣].

---

(١) دراسة الصَّوت اللغوي/ ص١٣١، وينظر: العين (١/ ٥٠)، وكتاب ســـيبويه (٣/ ٥٢٩)، والتوجيه الصَّوتيُّ في دراسة النحو العربي/ ص٥١، والبحث الدلالي فـــي إرشاد العقل السليم/ ص٥٨، والجهود الصَّوتية للأندرابي/ ص١٣٩.

(٢) ينظر: فقه اللغة العربية، للزيدي/ ص٤٣٧، واللغة، لفندريس/ ص٤٩، والمـــنهج الصَّوتي للبنية العربية/ ص٧٠، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغـــوي/ ص٩٧، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص٣٨.

(٣) سرُّ صناعة الإعراب/ ص١٧، وينظر: الخصائص «**باب في مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف**»، (٢/ ٣١٥– ٣١٦)، والتشكيل الصَّوتيُّ/ ص٤٢– ٤٣، وأصوات العربية بين التحوُّل والثبات/ ص٢٠.

فالفرق بين الصَّوامت الطويلة – الحروف – والصَّوائت القصيرة – الحركات – لا يعدو كونه فرقاً في الكمِّيَّة أو في مقدار المدِّ، فكلُّ حرفٍ من حروف المدِّ كحركتين أو أكثر، وهو ما تؤيِّده الدراسات الحديثة.. أما كيفية النطق؛ فواحدة[1]، والأمثلة على ذلك كثيرة لا يُحصيها العدُّ؛ كما في: ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾، و﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾، و﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾، و﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾، و﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ﴾، و﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾.. فبعضُ من أقرأتُهم بنفسي في مادَّة تلاوة القرآن الكريم وحفظه يمُدُّ الحركة الموجودة فوق اللَّام – الفتحة – بمقدار حركتين؛ فتستحيل حرفاً، وتصبح لامُ التوكيد في النطق دُون الرَّسم: **(لا)**، وينقلب المعنى إلى الضِّدِّ تماماً بمدٍّ طفيفٍ مقداره حركة واحدة ليصبح مقدارُ المدِّ فيها طبيعياً؛ أي مقدار حرفٍ واحد – حركتين – بدل الحركة الواحدة **(لا أقعدن، لا أتخذن، ولا أضلنهم، ولا أمنينهم، ولا آمرنهم)!!**

وعلى العكس تماماً ممَّا تقدَّم في أمثال: ﴿لَآ أَقُولُ﴾، و﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾، و﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ ببتر المدِّ الطبيعي في ألف **(لا)** وعدم إيفائه حقَّه من التِّلاوة؛ فتنقلب فتحة؛ فتغدو اللَّام وحيدة يتيمة **(لأقول، لأسألكم، لأعبد)!!** وبعض الدَّلالات الجديدة – كما هو بيِّن – الدَّخيلة في اللفظ قد تؤدِّي إلى الكفر إذا كان التالي لها يعنيها ويفقه معانيها!!

على أنَّ ذلك ليس مُطَّرِداً؛ فقد تأتي أحوالٌ يُكتب فيها الحرفُ، ويُلفظ بمقدار حركةٍ واحدة، وذلك مُطَّرِدٌ في أحرف العِلَّة المتلوَّة بهمزة وَصْل[2]؛ كـ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾، و﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾، و﴿مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي

(١) ينظر: الأصوات اللغوية/ ص٢٩٤، والجهود الصَّوتية للأندرابي/ ص١٤٠، والتوجيه الصَّوتيُّ في دراسة النحو العربي/ الصفحات: ٥١، و١٠٦، و١٢٠.

(٢) اللغة العربية – معناها ومبناها/ ص٣٠٨، وينظر: قضايا صوتية في النحو العربي/ ص٣٧٥، والتوجيه الصَّوتيُّ في دراسة النحو العربي/ ص٢١– ٢٢.

عِندَ رَبِّكَ ﴾، و ﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾، و ﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ ﴾، و ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ ﴾، و ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ ﴾، و ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ ﴾، و ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمَا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾، و ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، و ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، و ﴿وَكَذَٰلِكَ نُجۡزِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.

ومن الألوان العديدة الأُخرى للَّحن الخفيّ[1]:

١- مدُّ الحركة بحيث تستحيل حرفاً؛ كـ﴿وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ **(وأخذنا)**!! أو بتر الحرف بحيث يصير حركة؛ كما في: ﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ **(وأخـذنا)**!! وكما في: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، و﴿جَعَلۡنَا ﴾، و﴿قُلۡنَا﴾!! ومنهما معاً مع عدم مُراعاة حركات البنية: و﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ **(وبنينا)**!! و﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعًا شِدَادًا﴾؛ فتستحيل في اللفظ كأنها نون نسوة!!

٢- إدغامُ لامات الأفعال في نحو: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، و﴿جَعَلۡنَا ﴾، و﴿قُلۡنَا﴾، و﴿أَدۡخِلِنِي ﴾، و﴿خَوَّلۡنَٰكُمۡ﴾؛ إذ يتساهل بعضُهم في لفظها خطأً ولحناً وتهاوناً: **(أرسنَّا)**، و**(جعنَّا)**، و**(قنَّا)**، و**(أدخنِّي)**، و**(خوَّنَّاكم)**؛ فتستحيل دلالاتها إلى معانٍ غريبة وغير مُرادة من النصوص الحكيمة!!

٣- عدمُ الاجتهاد في إظهار اللَّام عند الجيم القمرية في مثل: ﴿ٱلۡجُبِّ﴾، و﴿ٱلۡجِبَالُ﴾، و﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾، و﴿ٱلۡجِنَّةَ﴾، و﴿ٱلۡجَبَّارُ ﴾، و﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾، و﴿ٱلۡجَزَآءَ ﴾، و﴿وَٱلۡجِسۡمِ﴾، و﴿ٱلۡجَلَلِ﴾، و﴿ٱلۡجَمۡعِ﴾، و﴿ٱلۡجُنُودِ﴾، و﴿ٱلۡجُوعِ ﴾... الخ.. وهذا الخطأ بالذات شائعٌ حتى بين أوساط المثقفين!!

---

(١) تنظر الأمثلة العشرة أدناه جميعاً في: الجهود الصَّوتية للأندرابي/ ص١٤١-١٤٢.

٤- إخراجُ الدَّال كالتاء إذا كانت بعد جيم؛ نحو: ﴿فَتَهَجَّدْ﴾، أو ياء؛ نحو: ﴿يَدَّخُلُونَ﴾؛ فيجب الاجتهاد في إخراجها؛ كي لا تستحيل تاءً.

٥- عدمُ تبيين التاء الرقيقة مع حروف الإطباق؛ فتصير كالطاء؛ نحو: ﴿أَوَمَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾، و﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾، و﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، و﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾!! وبالعكس؛ إذ يتمُّ ترقيق الطاء المهموسة؛ حتى تستحيل تاء[1]!!

٦- عدم الاجتهاد في إظهار الظاء عند التاء؛ ممَّا يُؤدِّي إلى الإدغام، أو مقاربة ذلك، وذهاب الإطباق؛ نحو: ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾؛ فتصبح قريبة من فعل الوعد.

٧- عدم تصفية الصَّاد؛ فتصبح كالسِّين؛ نحو: ﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾.

٨- عدم تسكين السِّين برفق في حال ٱجتماعها مع حروف الإطباق في كلمة واحدة؛ فتصبح صاداً بهذا الاختلاط؛ نحو: ﴿يَسْطُونَ﴾، و﴿مَسْطُورًا﴾، و﴿يَسْطُرُونَ﴾.

٩- ٱستعاضة العربيِّ عن حرف الظاء المجهور بالذال الملثوغة، والأمثلة على ذلك كثيرة كثرة ورود الحرف في كتاب الله ﷻ[2]!!

١٠- التلفظُ بالضَّاد بما يُخرجها أو يُقرِّبها من الدَّال، والأمثلة على ذلك كثيرة كثرة ورود الحرف في كتاب الله ﷻ[3]!!

يقول شمسُ الدِّين بن قيم الجوزية رحمه الله: ((ومن ذلك - أي: من مكايد الشيطان - : الوسوسة في مخارج الحروف، والتنطُّع فيها...

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٥٠)، وخصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص١٢٠.

(٢) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص١٢٤، و١٢٧.

(٣) ينظر: المرجع نفسه/ ص١٥٧، و١٥٨.

وقد كان الناس يقرأون القرآن بلغاتهم، ثمَّ خلف من بعدهم قومٌ من أهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طبع اللغة، ولا علم التكلُّف؛ فهفوا في كثيرٍ من الحروف، وذلُّوا فأخلُّوا!!))[1].

ويقول ٱبنُ الجزريِّ رحمه الله في «**النشر**»: ((لا رُخصة في تغيير اللفظ بالقرآن وتعويجه وٱتخاذ اللَّحن سبيلاً إليه إلَّا عند الضرورة، قال الله ﷻ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴿٢٨﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ]))[2].. ويقول رحمه الله: ((أول ما يجب على مُريد إتقان قراءة القرآن: تصحيحُ إخراج كلِّ حرفٍ من مخرجه المختص به تصحيحاً يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كلِّ حرفٍ صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مُجانِسِهِ، يعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالاً يصير ذلك له طبعاً وسليقة.. فكلُّ حرفٍ شارك غيره في مخرج؛ فإنه لا يمتاز عن مُشارِكِهِ إلَّا بالصفات، وكلُّ حرفٍ شارك غيره في صفاته؛ فإنه لا يمتاز عنه إلَّا بالمخرج... فإذا أحكم القارئُ النطق بكلِّ حرفٍ على حِدَته، مُوفٍ حقه؛ فلْيُعمِلْ نفسه بإحكامه حالة التركيب؛ لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكنْ حالة الإفراد؛ وذلك ظاهرٌ، فكم ممَّن يُحسن الحروف مفردة، ولا يُحسنها مركَّبة بحسب ما يُجاورها من مُجانس، ومُقارب، وقويٍّ، وضعيف، ومُفخَّم، ومُرقَّق.. فيجذب القويُّ الضعيفَ، ويغلب المُفخَّمُ المُرقق؛ فيصعب على اللِّسان النطقُ بذلك على حقِّه إلَّا بالرِّياضة الشَّديدة حالة التركيب.. فمن أحكم صحَّة اللفظ حالة التركيب؛ حصَّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب))[3].

ثمَّ بيَّن لنا رحمه الله بـ((أنَّ أصل الخلل الوارد على ألسنة القرَّاء في هذه البلاد وما ٱلتحق بها هو إطلاقُ التفخيمات والتغليظات على

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٦٠)، وينظر: بدع القراء القديمة والمعاصرة/ ص٤.

(٢) (١/ ٢٣٨).

(٣) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٤١- ٢٤٢).

طريقٍ أَلِفتها الطباعات، تُلُقِّيتْ من العجم، وٱعتادتها النَّبَط، وٱكتسبها بعضُ العرب؛ حيث لم يقفوا على الصَّواب ممن يُرجع إلى علمه، ويُوثق بفضله وفهمه!! وإذا ٱنتهى الحالُ إلى هذا؛ فلا بدَّ من قانونٍ صحيح يُرجع إليه، وميزان مستقيم يُعوَّل عليه))[1]، وطفق بوضع البنود المُحكمة لهذا القانون، والكفة المتعادلة لذاك الميزان من خلال ٱستعراضه لأهمِّ صفات الحروف، وأهمِّ الأخطاء والأوهام التي يُمكنُ أن يقع فيها التالون لكتاب الله ﷻ.. يقول رحمه الله[2]:

- ((والثاء حرفٌ ضعيف، فإذا وقع ساكنُها؛ فلْيَحتفِظْ في بيانه؛ لا سيَّما إذا أتى بعده حرفٌ يُقاربه وقرئ بالإظهار... وكثير من العجم لا يتحفَّظون من بيانها؛ فيُخرجونها سيناً خالصة!!)).
- ((والجيم يجب أن يُتحفَّظ بإخراجها من مخرجها؛ فربَّما خرجتْ من دون مخرجها؛ فينتشر بها اللِّسان؛ فتصير ممزوجة بالشين؛ كما يفعله كثيرٌ من أهل الشام ومصر!! وربَّما نبا بها اللسان فأخرجها ممزوجة بالكاف كما يفعله بعضُ الناس، وهو موجود كثيراً في بوادي اليمن!! وإذا سكنتْ وأتى بعدها بعضُ الحروف المهموسة؛ كان الاحتراز بجهرها وشدَّتها أبلغ؛ نحو: ﴿ٱجْتَمَعُواْ﴾، و﴿ٱجْتَنِبُواْ﴾، و﴿ٱجْتَبَيْتَهَا﴾، و﴿ٱجْتُثَّتْ﴾، و﴿خَرَجْتَ﴾، و﴿تَجْرِى﴾، و﴿تُجْزَوْنَ﴾، و﴿زَجْرًا﴾، و﴿رِجْسًا﴾؛ لئلَّا تضعف؛ فتمزج بالشين، وكذلك إذا كانت مشدَّدة؛ نحو: ﴿ٱلْحَجِّ﴾، و﴿أَتُحَٰجُّوٓنِّى﴾، و﴿وَحَآجَّهُۥ﴾، و﴿لُجِّىٍّ﴾، و﴿يُوَجِّهُّ﴾؛ لأجْل مُجانسة الياء، وخفاء الهاء!!)).

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٤٢).

(٢) تنظر الأقوال أدناه في: المصدر السابق (١/ ٢٤٥- ٢٤٩).

أما لفظُ عموم العرب المصريين اليوم للجيم (**گـــ**)؛ فيقولون: (**ٱگتباكم**)، و(**ٱگتبيتها**)، و(**ٱگتنبوا**)، و(**تگتنبوا**)، و(**ٱگتتشت**)، و(**خرگت**)، و(**تگري**)، و(**تگزون**)، و(**رگزاً**)... الخ.. وتسمَّى: «**الجيم القاهرية**»[1]..

❖ ((والحاء تجب العناية بإظهارها إذا وقع بعدها مُجانسُها أو مقاربها؛ لا سيَّما إذا سكنتْ؛ نحو: ﴿وَسَبِّحْهُ﴾؛ فكثيراً ما يقلبونها في الأول عيناً، ويُدغمونها، وكذلك يقلبون الهاء في: ﴿وَسَبِّحْهُ﴾ حاءً؛ لضعف الهاء وقوة الحاء؛ فتجذبها؛ فينطقون بحاء مشدَّدة!! وكلُّ ذلك لا يجوز إجماعاً.. كذلك يجب الاعتناء بترقيقها إذا جاورها حرفُ الاستعلاء؛ نحو: ﴿أَحَطتُ﴾، و﴿ٱلْحَقِّ﴾، فإن ٱكتنفها حرفان؛ كان ذلك أوجَبَ؛ نحو: ﴿حَصْحَصَ﴾!!)).

❖ ((والدَّال إذا كانت بدلاً من تاء؛ وجب بيانها؛ لئلَّا يميل اللِّسانُ بها إلى أصلها؛ نحو: ﴿مُزْدَجَرٌ﴾، و﴿تَزْدَرِيٓ﴾!!)).

❖ ((والذال يُعتنى بإظهارها إذا سكنتْ وأتى بعدها نونٌ؛ نحو: ﴿فَنَبَذْنَهُ﴾، و﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾.. وكذلك يُعتنى بترقيقها وبيان ٱنفتاحها وٱستفالها إذا جاورها حرفٌ مُفخَّم؛ وإلَّا رُبَّما ٱنقلبتْ ظاء؛ نحو: ﴿ذَرْهُمْ﴾، و﴿أَنذَرْتُكُمْ﴾، و﴿ٱلْأَذْقَانِ﴾؛ ولا سيَّما في نحو: ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾، و﴿مَحْذُورًا﴾، و﴿وَذَلَّلْنَهَا﴾؛ لئلَّا تشتبه بنحو: ﴿ٱلْمُنظَرِينَ﴾، و﴿مَحْظُورًا﴾، و﴿وَظَلَّلْنَا﴾.. وبعضُ النبط ينطق بها دالاً مهملة، وبعضُ العجم يجعلها زاياً.. فلْيَتحفَّظْ من ذاك!!)).

---

(١) ينظر: الجهود الصَّوتية للأندرابي/ ص١٣٩، وخصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص١٠٣- ١١٠.

❖ ((والرَّاء ٱنفرد بكونه مُكرَّراً، صفة لازمة له لغلظه.. قال سيبويه رحمه الله: «والرَّاء إذا تكلَّمتَ بها؛ خرجتْ كأنها مُضاعفة»[(١)].. وقد توهَّم بعضُ الناس أنَّ حقيقة التكرير: ترعيد اللِّسان بها المرَّة بعد المرَّة؛ فأُظهِرَ ذلك حالَ تشديدها؛ كما ذهب إليه بعضُ الأندلسيين!! والصَّواب التحفُّظ من ذلك بإخفاء تكريرها؛ كما هو مذهب المُحقِّقين.. وقد يُبالغ قومٌ في إخفاء تكريرها مُشدَّدة؛ فيأتي بها مُحَصْرَمَة شبيهة بالطاء!! وذلك خطأٌ لا يجوز؛ فيجب أن يُلفظ بها مُشدَّدة تشديداً ينبو بها اللِّسانُ نبوة واحدة وٱرتفاعاً واحداً من غير مُبالغةٍ في الحَصْر والعُسْر؛ نحو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، و﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾)).

❖ ((والزاي يتحفَّظ ببيان جهرها؛ لا سيَّما إذا سكنتْ؛ نحو: ﴿تَزۡدَرِيٓ﴾، و﴿أَزۡكَىٰ﴾، و﴿رِزۡقٗا﴾، و﴿مُّزۡجَىٰةٖ﴾، و﴿لَيُزۡلِقُونَكَ﴾، و﴿وِزۡرَكَ﴾.. وليكن التحفُّظ بذلك – إذا كان مُجاوِرُها حرفاً مهموساً – آكد؛ لئلَّا يقرب من السِّين؛ نحو: ﴿كَنَزۡتُمۡ﴾)).

❖ ((والسِّين يُعتنى ببيان ٱنفتاحها وٱستفالها إذا أتى بعدها حرفُ إطباق؛ لئلَّا تجذبها قوَّته؛ فتقلبها صاداً؛ نحو: ﴿بَسۡطَةٗ﴾، و﴿مَسۡطُورٗا﴾، و﴿تَسۡتَطِعِ﴾، و﴿أَقۡسَطُ﴾، وكذلك نحو: ﴿لَسَلَّطَهُمۡ﴾، و﴿سُلۡطَٰنٖ﴾، و﴿تُسَٰقِطۡ﴾.. ويتحفَّظ ببيان همسها إذا أتى بعدها غيرُ ذلك؛ نحو: ﴿مُّسۡتَقِيمٗ﴾، و﴿مَسۡجِدٖ﴾؛ فربما ضارعتْ في ذلك الزاي والجيم؛ نحو: ﴿أَسَرُّواْ﴾، و﴿يَسۡبَحُونَ﴾، و﴿عَسَىٰٓ﴾، و﴿قَسَمۡنَا﴾؛ لئلَّا يشتبه بنحو: ﴿وَأَصَرُّواْ﴾، و﴿تُصۡبِحُونَ﴾، و﴿وَعَصَىٰٓ﴾، و﴿قَصَمۡنَا﴾!!)).

❖ ((والصَّاد ليُحترز – حالَ سُكُونها إذا أتى بعدها تاءٌ – أن تقرُب من السِّين؛ نحو: ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾، و﴿وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ﴾، أو طاءٌ أن تقرُب من

---

(١) الكتاب (١/ ٣٦٦).

الزاي؛ نحو: ﴿ٱصْطَفَىٰ﴾، و﴿يَصْطَفِى﴾، أو دالٌ أن يدخلها التشريب عند من لا يُجيزه؛ نحو: ﴿أَصْدَقُ﴾، و﴿يَصْدُرُ﴾، و﴿وَتَصْدِيَةً﴾)).

❖ ((والضَّاد ينفرد بالاستطالة، وليس في الحروف ما يعسر على اللِّسان مثلُه؛ فإن ألسنة الناس فيه مُختلفة، وقلَّ من يُحسنه؛ فمنهم من يُخرجه ظاء، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لاماً مُفخَّمة، ومنهم من يُشِمُّه الزايَ!! وكلُّ ذلك لا يجوز... فلْيحذرْ من قلبه إلى الظاء؛ لا سيَّما فيما يشتبه بلفظه؛ نحو: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾ يشتبه بقوله: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾.. ولْيُعمِلِ الرِّياضة في إحكام لفظه؛ خصوصاً إذا جاوره ظاءٌ؛ نحو: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾، و﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾، أو حرفٌ مفخَّم؛ نحو: ﴿أَرْضِ ٱللَّهِ﴾، أو حرفٌ يُجانس ما يشبهه؛ نحو: ﴿ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾، وكذا إذا سكَنَ وأتى بعده حرفُ إطباق؛ نحو: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾، أو غيره؛ نحو: ﴿أَفَضْتُم﴾، و﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾، و﴿فِى تَضْلِيلٍ﴾)).

❖ ((والظاء يتحفَّظ ببيانها إذا سكنتْ وأتى بعدها تاءٌ؛ نحو: ﴿أَوَعَظْتَ﴾)).

❖ ((والغين يجبُ إظهارُها عند كلِّ حرفٍ لاقاها، وذلك آكدُ في حرف الحلق، وحالة الإسكان أوجب، وليحترزْ مع ذلك من تحريكها؛ لا سيَّما إذا ٱجتمعا في كلمةٍ واحدة.. وأمثلة ذلك نحو: ﴿يَغْشَى﴾، و﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾، و﴿ٱلْمَغْضُوبِ﴾، و﴿ضِغْثًا﴾، و﴿يَغْفِرُ﴾، و﴿فَٱرْغَبْ﴾، و﴿وَأَغْطَشَ﴾.. وليكن ٱعتناؤه بإظهار ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ أبلغ، وحرصُهُ على سكونه أشدَّ؛ لقرب ما بين الغين والقاف مخرجاً وصفة)).

هذا، وقد يُؤدِّي التَّميُّعُ في إخراج هذا الحرف عند النطق به إلى قلبه في اللفظ خاءً؛ كما في: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾، و﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ

مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾، ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾، و﴿يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾، و﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾، و﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، و﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾، و﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، و﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾، و﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾، و﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾، و﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾، و﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾، و﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾، و﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾، و﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾، و﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، و﴿غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، و﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾، و﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، و﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، و﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾، و﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾، و﴿مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾، و﴿غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾، و﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾، و﴿لِنَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾... الخ[1].

وقد يحدُث العكسُ فتقلب الخاءُ غيناً؛ كما في: ﴿وَزُخْرُفًا﴾، و﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾، و﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾، و﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾، و﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾!!

وهناك من يقلبها – أعني الغين – أثناء التلاوة قافاً بحُكم لهجته التي ٱعتاد عليها؛ فيُؤدِّي ذلك من غير قصدٍ من التالي إلى أخطاء وخيمة في الألفاظ وقلبٍ ذريع للمعاني، لو أدركها؛ لسارع إلى تدارُكها، وآب إلى ما فيه السَّلامة الصَّواب[2]؛ كما في: ﴿تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، و﴿ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾، و﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾، و﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾، و﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ... وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾، و﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾، و﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾، و﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾، و﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾، و﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾!!

---

(١) ينظر: الجهود الصَّوتية للأندرابي/ ص١٣٨- ١٣٩.

(٢) ينظر: المرجع نفسه/ ص١٣٨- ١٣٩.

وفريقٌ آخر يعكس الأمر؛ فيقلب القاف غيناً؛ كما في: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾، و﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾، و﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾، و﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، و﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾، و﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾، و﴿أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً﴾، و﴿وَلْيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾، و﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾، و﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾، و﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾، و﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾، و﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، و﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾، و﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾!!

هذا، و((إنَّ القاف الفصحى قد ٱختفتْ من لهجة القاهرة، وحلَّت محلَّها الهمزة، وتصدق قضية التمييز بين المُستويات اللغوية المُختلفة في كلِّ البيئات اللغوية.. ففي الكويت ومناطق الخليج العربيِّ تستخدم الياء في مقابل صوت الجيم الفصحى... ومثال ذلك: الكلمات: **(جاء = ياء)**، و**(واجد = وايد)**؛ بمعنى: كثير...))[1]، **(دجاج = دياي)**!!

ولئن كان علماءُ اللغة يعزون ذلك كلَّه إلى الاختلاط بمُختلف الشعوب الإسلامية غير العربية؛ فإنَّ هناك من يرى أنَّ منه ما يعود إلى ٱفتقار الحياة الحضرية لدواعي الصَّلابة وخوائها من حوافز الهِمَّة في التغلُّب على مشاقِّ الحياة ومخاطرها.. كما يعود أيضاً إلى ما عانى منه العربيَّ طوال ألف عامٍ من عصور الانحطاط والتقهقر، ولا يزال يعاني من مظاهر القلق؛ فأضاف ذلك كلُّه وغيره إلى رخاوة صوته شيئاً من العتامة والاضطراب[2].

كانت تلك جوانب وعيِّنات من مُشكلة تغيير مخارج أصوات الحروف وكيفية النطق بها، وأثرها على مدلولات ألفاظها، المُشكلة التي

(١) علم اللغة العربية، لحجازي/ ص٢٤- ٢٥.

(٢) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٢٣.

عانى منها علماء التجويد واللغة في القرون الهجرية الأولى؛ وهم أقربُ عهداً إلى عصور اللغة الذهبية، ترتيل آيات فصيحة، ورواية أشعار بليغة، وسليقة فطرية، ولهجة بدوية بعيدة عن رطانة العجمة ورخاوة الحضر.

أما نحن اليوم؛ فقد طال الزمان بنا وبَعُدَ؛ حتى ألفينا أنفسنا وسط متاهات اللهجات العربية، لكلِّ قطر من الأقطار ومصر من الأمصار لهجة خاصَّة في التلفظ بأصوات الحروف، ولكلِّ لهجة فروعٌ عامِّيَّة، بين حضريها وريفيها وبدويها، لا بلْ يكاد يكون لكلِّ مدينة وعشيرة وقرية كيفية نطق متميزة عمَّا سواها.. فليت شعري ما الذي تُكِنُّه وتخبِّؤه اللَّهجات المحلية للبلدان العربية التالية لكتاب الله ﷻ وأهلها هم أهل اللغة الأُصلَاء!! فما بالُك بسائر المسلمين من غير العرب ممَّن لا يُجيدون النطق باللسان العربيِّ إلَّا بمشقة وعُسْر شديدين؟!!

وممَّا يزيد الطين بلَّة والأمر تعقيداً في الاهتداء إلى الطريقة الأصلية السليمة في التلفظ بالحروف أنَّ معظم العرب اليوم فقدوا طابعهم الصَّوتيَّ الأصيل.. فكيف بمن سواهم؟!!

لذا يجب أنْ نُنزِّه القرآنَ الكريم الذي لولاه؛ لضاع العرب منذ عصور انحطاطهم وتقهقرهم، وذابوا ذوبان الجليد في هجير الصَّحراء في أُممٍ ومذاهب شتَّى من اللغات ذات اللهجات المتباينة والمتنافرة والمتنابذة.. وحريٌّ بنا أن نربأ به عن لحن اللهجات، وأن نتلوه غضَّاً طرياً كما أُنزل؛ فاللَّحن يُؤدِّي – في أحيانٍ كثيرة – إلى تغيير المعنى ونسخه – بلْ مَسْخه – إلى معانٍ أُخرى بعضُها مجهول، وقد يقلب المعنى أحياناً أُخرى إلى الضِّدِّ تماماً؛ كما تبيَّن لنا من الأمثلة أعلاه!!

هذا، و((إنَّ تقارُب الحروف في مخارجها لا يمنحها تقارُباً مُماثلاً في إيحاءاتها الصَّوتية، ولا في معانيها؛ فالحرف الشقيق إذا حلَّ محلَّ شقيقه في لفظةٍ ما؛ لا تظلُّ اللفظة على معنىً مقاربٍ لمعناها قبل الإبدال؛ وإنما قد يُؤدِّي ذلك إلى التناقض في معانيهما أحياناً كثيرة؛ كما في حرفي

الثاء والذال، وأحرف الخاء والحاء، والباء والميم، والصَّاد والسِّين))[1]؛ وكما تبينا ذلك جلياً في الشواهد والأمثلة أعلاه.

ومن أمثلة هذا التقارب – والأمثلة أكثر من أن تحصى – : لفظة «**تحسَّسوا**» من قوله ﷻ على لسان نبيه الكريم يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ ﴿٨٧﴾﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ].. إنَّ معنى: «**تحسسوا**» هو: «**تعرَّفوا**»، وقُرئتْ: «**فتجسَّسوا**»[2]، ويكون معناها حينئذٍ من الجسِّ؛ وهو الطلب؛ أي: تطلَّبوا.. فاختلافُ الصَّوتين بين الجيم والحاء أدَّى إلى ٱختلاف دلالة اللفظة؛ فـ«**التحسُّس**» هو التعرُّف، ويستعمل غالباً في جانب الخير.. و«**التجسُّس**» هو التبحُّث والتطلُّب في جانب الشر[3].

ومن الآفات العديدة الأخرى التي تسرَّبت إلى لغة الوحي الحكيم: تلك الحملات المحمومة التي تصطبغ بصبغاتٍ مغرضة وأُخرى متهاونة في التعامل مع حروفها، يتمثَّل ذلك جلياً بعشواء الأشعار الشعبية ذات اللغات المُتميِّعة والمُتكسِّرة التي لا تعرف إلى الضَّاد مسلكاً ولا تهتدي إليه سبيلاً!! ومنها أيضاً: ما يشيع اليوم في وسائل الإعلام المنطوقة والمقروءة من لغاتٍ مُترهِّلة تعمل عملها الهدَّام كمعاول تنخر في أساس حروف الوحي ولغته الرَّصينة!! ومنها أيضاً: كمُّ المُلصقات والإعلانات المكتوبة ودعايات البضائع والمنتجات التي تعجُّ بها الطرقات ذات اليمين وذات الشمال... الخ!!

---

(١) معاني الحروف العربية على واقع المعاجم اللغوية/ ص٥٣- ٥٤.

(٢) وهي قراءة الحسن البصري رحمه الله [ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢/ ١٩١)، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر/ ص٣٥٩].

(٣) ينظر: مختصر في شواذ القراءات/ ص٦٥، ولسان العرب (٣/ ٣٨)، و(٦/ ٥٠)، وإرشاد العقل السليم (٤/ ٣٠٢).

وهكذا؛ فقد تسرَّبت الرَّخاوة إلى صوت الإنسان العربيِّ في عصور الانحطاط ودبَّ التميُّع فيه؛ فبهت رنينه، وخبا بريقه؛ لتتراجع مخارجُ كثيرٍ من أصوات حروفنا القهقرى، وتنطمس أصداؤها ومُوحياتها الصَّوتية العذبة في الأسماع.. وما لم يتحرَّرِ العربيُّ من قلقه وترفه وخنوعه وريائه، فيجهَرَ بصوته عالياً بآرائه ومعتقداته؛ فلنْ يستقيم له عُودٌ، ولن يقوم له عمود، ولن يستعيد صحَّة نطقه وعافية لسانه أبداً؛ مِصْداقاً لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿١١﴾﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ].

فاللغة العربية إنما هي لغة الحُرِّيَّة والأحرار، لا لغة الإمَّعات.. ولا بدَّ من الذَّبِّ عنها والذَّود عن حماها من الرَّابضين على تخومها من دُعاة التغيير.. كما لا بدَّ من توفية مخارج حروفها، والترنُّم بها، وترديد أصداء صاداتها الصَّقيلة، وعيناتها الناصعة، وضاداتها النضيرة، وراءاتها الرشيقة، ونوناتها الأنيقة... حقوقها الوافية من الصِّفات والمخارج، ومقاماتها السامية من التلفظ والنطق(١).

(١) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٢٢- ٢٢٤.

خاتمة البحث

يطيبُ لي بعد تلك الرحلة الموجزة بين أفنان حُـرُوف الـوحي أنْ أُوجز ما بسطته في أثناء هذا البحث؛ من خلال خلاصةٍ دالَّةٍ علـى أهـمِّ النتائج التي توصلتُ إليها في أثنائه:

- كما يشتمل هذا الدِّينُ القويم على كُلِّيَّات ومسائل أساسية ثابتة لا تقبـل التغيُّر والتبُّدل؛ فكذلك الحال بالنسبة للُغة هذا الدِّين؛ فإنَّ فيها مسـائلَ أساسية لا تتَّسع لقضايا التبَّدل؛ وإلَّا كانت عُرْضة للبُغاة وهـدفاً لمـن هبَّ ودبَّ من الرُّماة، وتأتي الحروف التي تأتلف منها كلمـاتُ تلـك اللغة وجُملها وتراكيبها في مقدِّمة البنود التي تتَّسم بذلك الثبات العتيد.
- تخضع اللغة الإنسانية لسُنَّة التطوُّر العامِّ؛ إذ تتغيَّر، وتنمو مـع نمـوِّ الفكر وتقدُّم الزمن، وتتكاثر مثل أيِّ كائنٍ حيٍّ – بعَدِّها واحـداً مـن سائر الأحياء التي تدبُّ على سطح تلك البسـيطة – ؛ وذلـك النمـوُّ والتكاثر إنما يكون بما يُستحدث فيها من أساليب جديدة في التعبيـر، وما ينضافُ إلى رصيدها من كلماتٍ أو ألفـاظ جديـدة تـدخل فـي الاستعمال بطريقةٍ أو بأخرى؛ فتغنى وتتطوَّر.
- تعدُّ لغتنا العربية من أكثر لغات الأرض – إن لـم تكـن أكثرهـا – تطوُّراً في تقاليب مفرداتها، ودلالات ألفاظها.. ومع كلِّ تلك التقلُّبـات والتبدُّلات؛ فقد حُفَّتْ تلك اللغة الخالدة من بين سـائر لغـات الأرض بعنايةٍ إلهية؛ فخرجتْ مُعافاة قد حافظتْ على قالبهـا الـرَّئيس الـذي صُبَّتْ فيه منذ البداية.
- لقد صارت اللغة العربية الفصحى – وهي لغـة مُوحَّـدة – بفضـل القرآن الكريم مفتاحاً إلى الماضي العربيِّ بكلِّ جوانبه المُشرقة.
- يُمثِّل ثباتُ أصوات لغتنا العربية خلال تاريخها الطويل ظـاهرة تثيـر الإعجابَ والدهشة والإكبار إذا ما قورن بما يحدث لأصوات اللغـات العالمية الأخرى، والسَّببُ في ذلك: سعة مَدْرجها الصَّـوتيِّ.. ولكـنَّ

هذا الثبات العريق لأصوات تلك اللغة الخالدة لم يقفْ حائلاً دون حُدُوث بعض التبدَّلات الصَّوتية الضمنية الحاصلة هنا وهناك في نطق بعض الحروف.

- على أساس التبدُّلات الصَّوتية التي تنتاب لغتنا العربية؛ وُجدت الثغرة التي تعالتْ منها أصواتُ بعض الباحثين الدَّاعية إلى حذف بعض حُرُوفها من رسمنا الكتابيِّ العربيِّ، أو تغييرها، أو دَمْجها بغيرها، كالضَّاد مثلاً؛ لأنه – بحَسْب رأيهم – ليس حرفاً مُختصَّاً بالعرب وحدهم، وهم يرون أنه لُغزٌ مُحيِّر؛ لأنه حرفٌ مُعقَّد، بعيد عن الأصوات الطبيعية، أو أنه صوتٌ مجهول، مُلتبس بغيره؛ لذا غدا – في نظرهم – شبحاً لحرفٍ مفقود بات يُؤرِّقهم، ومن الأفضل طرحُهُ وإلغاؤه والتخلُّص منه!!
- من حاول النفاذ إلى سياج لغتنا المنيع بذريعة تيسير قواعد رسم الحروف وطرق النطق بالكلمات، وتحت غطاء البحث العلميِّ المُجرَّد؛ فلْيتنحَّ عنه؛ فإنَّ للُّغة أهلاً هم أبصرُ بمواطن الفائدة ومكامن النفع، وله في لغته الميدان الفسيح لتطبيق تجاربه وإنفاذ مآربه إنْ رام ذلك.
- إنَّ التغيير أو التلاعُب بأيِّ حرفٍ من حروف اللغة سيُؤدِّي حتماً إلى تغيير رسمه ولو بالتدريج، ولو كان الرَّسمُ عُرْضة للتغيير تبعاً لتغيُّر أصوات الكلمات؛ لغدتْ كتابة كلِّ جيل غريبة، مُنبتَّة عن الأجيال اللَّاحقة له، ولاحتاج الناسُ في كلِّ عصرٍ أو مصر إلى تعلُّم طرائق النطق، والإلمام بحالة اللغة في العصور السَّابقة لهم؛ كيما يتمكَّنوا من الانتفاع بما خلَّفه أسلافُهم لهم!!
- إنَّ أيَّ تغييرٍ أو تلاعُبٍ بأيِّ حرفٍ من حروف الوحي من ناحية النطق أو الصِّفة أو المخرج سيُفضي حتماً إلى تغيير دلالته ومَسْخها إلى معنىً أو معانٍ غير مُرادة ٱبتداءً من التنزيل الحكيم، وقد يقلب

معناها إلى الضِّدِّ تماماً؛ عنى التالي لكتاب الله ﷻ ذلك، أم وقع منه جهلاً أو سهواً أو تراخياً أو غفلة!! فينبغي الحذرُ الشديد والتنبَّه والتيقُّظ لهذا الأمر الخطير!!

- إنَّ السبب الرئيس وراء مسألة كون الرَّسم القرآنيِّ الشريف توقيفياً؛ إذ لم يُمنحْ أحدٌ الحقُّ في إجراء أيِّ تعديلٍ أو تغيير عليه.. يكمُنُ وراء تلافي الاختلافات وتعدُّد الآراء وتباين وجهات النظر التي لا حدَّ لحدِّها، ولا قِبَلَ لردِّها، والترفُّع عما قد يعتري العربية المكتنفة لحروف الوحي الحكيم من النسخ والمسخ.. وبالتالي الحفاظ على النصِّ الكريم ولغته المقدَّسة في آنٍ واحد من دهم شبح الفوارق والطوارق.
- إنَّ تقارب الحروف في مخارجها لا يمنحها تقارباً مُماثلاً في إيحاءاتها الصَّوتية، ولا في معانيها؛ فالحرف الشقيق إذا حلَّ محلَّ شقيقه في لفظة ما؛ لا تظلُّ اللفظة على معنىً مقاربٍ لمعناها قبل الإبدال؛ وإنما قد يؤدي ذلك إلى التناقض في معانيهما أحياناً كثيرة؛ كما مثلنا آنفاً في حرفي الثاء والذال، وأحرف الخاء والحاء، والباء والميم، والصاد والسين، والغين والخاء، والغين والقاف... الخ.
- لا يخفى ما في ثبات رسم الحروف العربية على حالته الأولى – أو ما يقرب منها – من فوائد جمَّة؛ فهو يُوحِّد شكل الكتابة في مُختلف العصور، ويُيسِّر تناقل اللغة، ويُمكِّن الناس في كلِّ عصرٍ من الانتفاع بمُؤلَّفات أسلافهم وآثارهم، ويُسدي للباحث والمُنقِّب في علم اللغات وتاريخها خدمة جليلة عبر ما يعرضه له من الصُّور الصَّحيحة والأمينة لأُصُول الكلمات، وما يُوقفه على ما كانت عليه أصواتها في أقدم عصور اللغة.. فالرَّسم للألفاظ أشبهُ شيءٍ من هذه الناحية بالمتحف للآثار.

- إذا ما حاولنا تقريبَ الرَّسم الكتابيِّ العربيِّ أو مُطابقتــه مــع نطقنــا للحروف العربية في كلِّ جيل يخرج عن نطق أســلافه أو يُخالفــه – كما يفعل أصحابُ اللغات الأخرى – ؛ لضلَّ الحرفُ العربيُّ وضــاع وسط تلك المتاهات، ولاندرستْ معالِمُه، وأصبحت الكتابة مثلَ أثواب النساء: مُتغيِّرة بحسب [الموضة] مع كلِّ جيل!!
- يختلف الحدثُ اللغويُّ المنطوق نوعاً ما عن رمزه المكتوب، والعربية لم تكن بدعاً من اللغات؛ وإن ٱمتلكت واقعاً تاريخياً جعلها تتماز عــن سائر اللغات العالمية، جعلها كشجرةٍ عظيمة تضرب بجــذورها فــي أعماق الأرض، وتنمو أغصانها وتمتدُّ في كلِّ ٱتجاه، وهي ثابتة فــي موضعها لا تبرَحُه.
- يعدُّ التطوُّر اللغويُّ في جانب الصَّوت أسرعَ وأكثر تنوُّعاً من تطوُّرها في جوانب الصِّيغ، والنحو، والمفردات، والأساليب.. والسَّبب هــو أنَّ الجانب المنطوق في اللغة يُمارَسُ بحرية أكثر من الجانب المكتــوب، فضلاً عن أنَّ اللغة تصادِفُ في تركيباتها وتجمُّعاتها الصَّوتية ظروفاً سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب؛ ولهذا ينفصــلُ الصَّــوتُ عــن صورته، ويتطوَّر دونها.
- إنَّ مفاهيم الناس للأشياء ليستْ هي التي تصنع الحقائق؛ بــلْ تقتصــر وظيفتها في العمل على إدراكها فحَسْبُ؛ حتى تكــون صــورة تلــك الحقائق فيها مُطابقة تماماً لما هي عليه في الواقع.. وإنَّ فساد مفــاهيم الناس حول حقيقةٍ ما من حقائق المعرفة لا يُغيِّر من واقع حال هــذه الحقيقة شيئاً، وما أكثر حقائق المعرفة التي تتعرَّض لمشــاكل فســاد مفاهيم الناس عنها، وفساد تصوُّر الناس لها دُونما أن تتأثر بــذلك أو أن تميد مع رياحها!! إنَّ قصور النظر الكليل إلى الواقع لا يُغيِّر مــن كمال الواقع شيئاً!!

۞ لولا أنَّ الإسلام حقٌّ بذاته، مُؤيَّد بتأييد الله ﷻ، محفوظ بحفظه؛ لم تبق منه بقية تصارع قوى الشرِّ في الأرض التي ما تركتْ سبيلاً لكيده والمكر به إلَّا سلكتْه، ولا سبباً لإخماد جذوته وإطفاء نوره ودَرْس معالم لغته إلَّا تبنَّته وأخذتْ به!!

المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم.**

٢- **أباطيل وأسمار:** محمود محمد شاكر/ مكتبة الخانچي (القاهرة)، (ب. ت).

٣- **الأبجدية العربية متكاملة وصالحة:** أ. د. أحمد نصيف الجنابي/ بحثٌ منشور في مجلَّة المَجْمَع العلمي العراقي/ المُجلَّد (٣١)، ج٣ - شعبان ١٤٠٠هـ/ تموز ١٩٨٠م.

٤- **إتحاف فُضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر**، ويُسمَّى: «**منتهى الأماني والمسرَّات في علوم القراءات**»: شهاب الدين أحمد بن عبد الغني الدِّمياطي، الشهير بـ«**البناء**»، (ت١١١٧هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥- **الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء:** لأبي حيَّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين/ مطبعة العاني (بغداد)، ط١، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٦- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الشهير بـ«تفسير أبي السُّعُود»:** محمد بن مصطفى العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٧- **أزمة التعبير بين العاميَّة والفُصحى:** إبراهيم الأبياري، ورضوان إبراهيم/ دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٨- **الإسلام والكتابة العربية:** أ. د. حسام سعيد النعيمي/ بحثٌ منشور في مجلَّة الضَّاد (ج٣)، ذو الحجَّة ١٤٠٩هـ/ آب ١٩٨٩م.

٩- **أصوات العربية بين التحوُّل والثبات:** أ. د. حسام سعيد النعيمي/ دار الكتب (الموصل)، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٠- **الأصوات اللغوية:** أ. د. إبراهيم أنيس/ مكتبة الأنجلو مصرية (القاهرة)، ط٥، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١١- **الاعتماد في نظائر الظاء والضاد:** أبو عبد الله جمال الدِّين محمد بن عبد الله بن مالك الجياني (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: أ. د. حاتم صالح الضَّامن/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٢- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:** لِابن قيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي/ دار المعرفة (بيروت)، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١٣- **إيضاح الوقف والابتداء:** أبو بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: مُحيي الدِّين رمضان، نشر: مَجْمَع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٣٩٣هـ.

١٤- **البحث الدَّلالي في «إرشاد العقل السليم»، لأبي السُّعُود العمادي (ت٩٨٢هـ)، «أُطروحة دكتوراه»:** زينب عبد الحسين بلال السلطاني، إشراف: أ. د. كريم حسين ناصح الخالدي/ جامعة بغداد – كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٥- **بِدَع القراء القديمة والمُعاصرة:** بكر بن عبد الله أبو زيد/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

١٦- **بُغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن في رواية حفص بن سليمان من طريق الشاطبية:** محمد بن شحادة الغول/ دار لِابن القيم (الرياض)، ط٥، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٧- **تاج العروس من جواهر القاموس:** أبو الفيض مُرتضى الحسيني الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الفكر (بيروت)، (ب. ت).

١٨- **تحت راية القرآن - المعركة بين القديم والجديد**: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، المكتبة العصرية (بيروت)، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٩- **الترادف في اللغة «رسالة ماجستير»**: حاكم مالك لعيبي الزيادي/ إشراف: أ. د. إبراهيم السامرائي، كلية الآداب - جامعة بغداد/ تشرين الثاني ١٩٧٦م، دار الحرية (بغداد)، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢٠- **التشكيل الصَّوتيُّ في اللغة العربية (فونولوجيا العربية)**: د. سلمان حسن العاني، ترجمة: د. ياسر الملاح، مراجعة: د. محمد محمود غالي/ دار البلاد (جدة)، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢١- **التمهيد في علم التجويد**: لابن الجزري (٨٣٣هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٢- **التنبيه على اللَّحن الخفي**: أبو طاهر هاشم بن أحمد الخطيب (ت٥٧٧هـ)، تقديم وتحقيق: د. غانم قدُّوري الحمد/ مجلَّة المَجْمَع العلمي العراقي (المُجلَّد ٣٦- الجزء ٢)، شوَّال ١٤٠٥هـ/ حزيران ١٩٨٥م.

٢٣- **تهذيب اللغة**: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، الهروي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، والأستاذ محمد فرح العُقدة/ مراجعة: الأستاذ محمد علي البيجاوي، (بلا معلومات نشر).

٢٤- **التوجيه الصَّوتيُّ في دراسة النحو العربي «علامات الإعراب والبناء أنموذجاً» «أُطروحة دكتوراه»**: عقيل رحيم علي اللَّامي، إشراف: أ. د. محمد ضاري حمادي/ جامعة بغداد - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٥- **الجهود الصَّوتية للأندرابي (توفي بعد ٥٠٠هـ) في كتابه: «الإيضاح في القراءات العشر» - دراسة موازنة «رسالة ماجستير»:** أحمد خضير محمد خالد الجبوري، إشراف: د. جمعة حسين محمد البياتي/ جامعة تكريت - كلية التربية (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٦- **حُصُوننا مُهدَّدة من داخلها:** د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٦، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٧- **الحفاظ على سلامة اللغة العربية:** أ. د. أحمد مطلوب/ بحثٌ منشور في مجلَّة الضَّاد (ج٣)، ذو الحجَّة ١٤٠٩هـ/ آب ١٩٨٩م.

٢٨- **الخصائص:** أبو الفتح عثمان بن جِنِّي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي النَّجَّار/ دار الكتب (القاهرة)، ١٣٧١هـ.

٢٩- **خصائص الحروف العربية ومعانيها:** د. حسن عباس/ عن موقع أتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٣٠- **دراسات في فقه اللغة:** أ. د. صبحي الصَّالح (ت١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، دار العلم للملايين (بيروت)، ط٣ عشرة/ ١٩٩٧م.

٣١- **الدراسات اللغوية عند عبد الرحمن أيوب «رسالة ماجستير»:** حيدر محمد جبر العبودي، إشراف: أ. د. محمد ضاري حمادي/ جامعة بغداد - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، شعبان ١٤٢٦هـ/ أيلول ٢٠٠٥م.

٣٢- **دراسة الصَّوت اللغوي:** أ. د. أحمد مختار عمر/ عالم الكتب (القاهرة)، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٣٣- **زينة الفُضلاء في الفرق بين الضاد والظاء:** أبو البركات الأنصاري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: أ. د. رمضان عبد التَّوَّاب/ دار المعرفة (بيروت)، الطبعة الأولى،١٩٧١م.

٣٤- **ستبقى العربية لغة الضاد:** د. علي جاسم سلمان/ بحثٌ منشور في مجلَّة الضَّاد (ج٤)، ذو الحجَّة ١٤١٠هـ/ تموز ١٩٩٠م.

٣٥- **سرُّ صناعة الإعراب:** أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق د. حسن هنداوي/ دار القلم (دمشق)، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٦- **الصِّحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»:** أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: الأستاذ أحمد عبد الغفور عطَّار/ دار العلم للملايين (بيروت)، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٣٧- **طرق تنمية الألفاظ في اللغة «مُحاضرات أُلقيت في قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية بالقاهرة»:** أ. د. إبراهيم أنيس/ مطبعة النهضة الجديدة (القاهرة)، (ب. ت).

٣٨- **الظاءات القرآنية:** أبو عَمْرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: د. علي حسين البواب/ مكتبة المعارف (الرياض)، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٩- **العربية أهي لغة الضَّاد أم لغة الظاء؟!!** مقال بقلم أ. د. مصطفى كامل الشيبي/ منشور في جريدة العراق البغدادية (٢٣/ ٣/ ١٩٨٨م).

٤٠- **علم اللغة:** أ. د. علي عبد الواحد وافي/ دار نهضة مصر (القاهرة)، ط٧، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٤١- **علم اللغة العربية «Linguistics» – مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية:** أ. د. محمود فهمي حجازي/ دار غريب (القاهرة)، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٤٢- **عُمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ «مُعجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم»**: أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن يوسف بن عبد الدَّايم السَّمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السُّود/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٤٣- **العين**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: الأُستاذ الدكتور مهدي المخزومي، والأُستاذ الدكتور الأُستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي/ دار الرشيد (بغداد)، ١٩٨٠، و١٩٨١، و١٩٨٢م.

٤٤- **الغارة على العالم الإسلامي**: أ. ل. شاتليه، ترجمة: مُحب الدِّين الخطيب ومساعد اليافي/ المطبعة السلفية، ط٣، ١٣٨٥هـ.

٤٥- **الفرق بين الحروف الخمسة**: لِابن السَّيِّد البَطَلْيُوسي (ت٥٢١هـ)، تحقيق: أ. د. علي عبد الحسين زوين، مطبعة العاني (بغداد)، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤٦- **فقه اللغة**: أ. د. عبد الحسين المبارك/ مطبعة جامعة البصرة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٤٧- **فقه اللغة العربية**: أ. د. قاصد ياسر حسين الزيدي (ت١٤٢٩هـ)، دار الكتب (جامعة الموصل)، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤٨- **في فقه اللغة وقضايا العربية**: أ. د. سميح أبو مغلي/ دار مجدلاوي (عمان)، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤٩- **قادة الغرب يقولون: دمِّروا الإسلام، أبيدوا أهله**، الأستاذ جلال العالم/ دار المعارف (القاهرة)، ط٢، ١٣٩٥هـ.

٥٠- **كتاب سيبويه**: أبو البِشْر عَمْرو بن عثمان، المُلقَّب بـ«**سيبويه**» (ت١٨٠هـ)، طبعة بولاق (القاهرة)، ١٣١٧هـ.

٥١- **كلام العرب – من قضايا العربية:** د. حسن ظاظا/ دار النهضة العربية (بيروت)، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٥٢- **كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المُعاصرة:** عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني/ دار القلم (دمشق)، (بيروت)، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٥٣- **لسان العرب:** أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، دار الفكر (بيروت)، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٥٤- **اللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم):** د. هادي نهر/ بحثٌ منشور في مجلَّة الضَّاد – الجزء الرابع، ذو الحجَّة ١٤١٠هـ/ تموز ١٩٩٠م.

٥٥- **اللغة العربية – معناها ومبناها:** أ. د. تمَّام حسَّان/ الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥٦- **اللغة العربية ومكانتها بين اللغات:** أ. د. فرحان السليم/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٥٧- **لماذا يدعون إلى تغيير الحرف العربي؟!!** أ. د. رشيد عبد الرحمن العبيدي (ت١٤٢٨هـ)، بحثٌ منشور في مجلَّة الضَّاد – ج٣، ذو الحجَّة ١٤٠٩هـ/ آب ١٩٨٩م.

٥٨- **ما وقع في القرآن الكريم من الظاء:** سليمان بن أبي القاسم التميمي السرقوسي/ تحقيق: د. علي حسين البوَّاب/ عن مجلَّة البحوث الإسلامية – العدد (٢١).

٥٩- **مباحث في علم اللغة واللسانيات:** أ. د. رشيد عبد الرحمن العبيدي/ دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٦٠- **مجلَّة الضَّاد «تصدر عن الهيئة العليا للعناية باللغة العربية في جمهورية العراق»**: رئيس التحرير: أ. د. أحمد مطلوب/ ج٣، ذو الحجَّة ١٤٠٩هـ/ آب ١٩٨٩م، وج٤، ذو الحجَّة ١٤١٠هـ/ تموز ١٩٩٠م.

٦١- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: أبو الفتح عثمان بن جِنِّي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: الأستاذ علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي/ دار سزكين (أسطنبول)، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦٢- **المُحكم والمُحيط الأعظم**: أبو الحسن بن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٦٣- **مختصر في شواذِّ القراءات من كتاب «البديع»**، المطبوع خطأ بعنوان «**مُختصر في شواذِّ القرآن**»: لابن خالويه (ت٣٧٠هـ)، نشر: المستشرق الألماني اللغوي د. ج. برجستراسر (G. Bergstraesser)، مكتبة المتنبِّي (القاهرة)، (ب. ت).

٦٤- **مختصر في الفرق بين الضَّاد والظاء**: نشوان بن سعيد الحِمْيَري (ت٥٧٣هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين/ مطبعة العاني (بغداد)، ط١، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٦٥- **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**: أ. د. رمضان عبد التوَّاب/ مكتبة الخانجي (القاهرة)، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٦٦- **معاني الحروف العربية على واقع المعاجم اللغوية**: د. حسن عباس/ موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٦٧- **المفردات في غريب القرآن:** الرَّاغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي/ دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت)، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٦٨- **مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون/ دار الفكر (بيروت)، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦٩- **من أسرار اللغة:** أ. د. إبراهيم أنيس/ مكتبة الأنجلو مصرية (القاهرة)، ط٧، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٧٠- **منهج البحث الصَّوتيِّ عند العرب:** أ. د. محمد حسين علي الصغير/ بحثٌ منشور في مجلَّة الضَّاد - الجزء الثالث، ذو الحجَّة ١٤٠٩هـ/ آب ١٩٨٩م.

٧١- **المنهج الصَّوتيُّ للبنية العربية - رُؤية جديدة في الصَّرف العربي:** أ. د. عبد الصبور شاهين/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٧٢- **النشر في القراءات العشر:** شمس الدِّين بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، أشراف وتصحيح ومراجعة: الشيخ علي محمد الضَّبَّاع، المكتب المصري الحديث، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر (القاهرة)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.